البابا شنوده الثالث

عاطف وجيه
Atif Wagih

التجربة على الجبل

عادل لست


http://coptic-treasures.com

البابا شنوده الثالث



The Temptation on the mountain

By H. H. Pope Shenouda III

1st Print
May 1995
Cairo

الطبعة الأولى
مايو ١٩٩٥
القاهرة

اسم الكتاب : التجربة على الجبل .

اسم المؤلف : البابا شنوده الثالث .

الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس .

الطبعة : الأولى – سنة ١٩٩٥م .

المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) – العباسية – القاهرة .

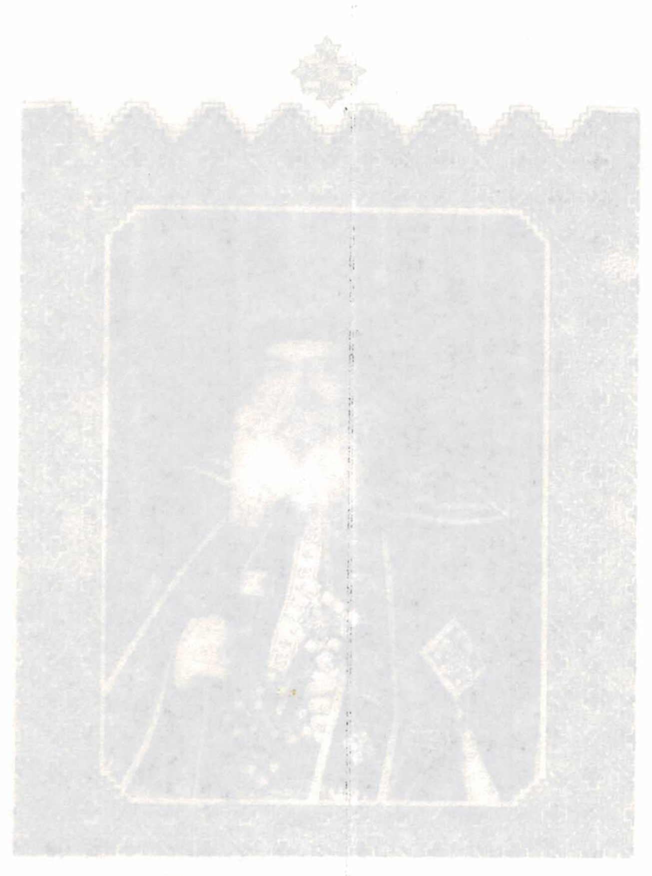
رقم الأيداع بدار الكتب : ٩٥/٤٦٤٧

I. S. B. N. 977 - 5345 - 27 - 8



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



مقدمة الكتاب

فى كل عام ، فى بداية الصوم الكبير ، كانت الكنيسة تقرأ فصل الإنجيل عن التجربة (مت٤، مر١، لو٤) وكنا نلقى عظات عن التجارب بصفة عامة، وعن تجربة السيد المسيح على الجبل ، فى تفاصيلها .

ومن مجموعة تلك العظات ، اخترنا لك منها المحاضرات التى ننشرها فى هذا الكتاب .

وقد سبق لنا نشر بعض منها فى مجلة الكرازة ، وفى جريدة وطنى. ثم قمنا بجمع كل تلك المقالات ، وأضفنا إليها ما يمكن إضافته ، وأعدنا تنظيمها لكى تخرج بهذه الصورة .

وهى تشرح عدة أمور منها :

١ – لماذا يسمح الله بالتجارب لجميع الناس ، حتى لقديسيه ؟

٢ – ما فائدة هذه التجارب ، للمؤمن الذى يمكنه أن يأخذ منها فوائد روحية كثيرة لحياته .

٣ – ما كنه تجربة السيد المسيح على الجبل ؟

وما هو الهدف الشيطانى منها ؟ وكيف استطاع السيد المسيح أن ينتصر عليها ؟

٤ – وما علاقة تلك التجارب بقضية الصليب والفداء ، وبمبادئ الخدمة التى وضعها السيد الرب أمامه ؟

عن هذا وغيره يحدثك هذا الكتاب .

أبريل سنة ١٩٩٥ شنوده الثالث


الفصل
الأول
التجارب
و
الضيقات

أعتدنا فى الصوم الكبير ، أن نتذكر تجارب المسيح لـه المجـد . وفى الحديث عن التجارب، يهمنا أن نذكر بعض ملاحظـات هامـة، منها :



التجارب للكل

لا تخلو حياة إنسان - أياً كان - من التجارب والضيقات. فهى للكل، حتى للأنبياء والقديسين ، حتى للسيد المسيح نفسه، الذى كان "مجرباً فى كل شئ مثلنا بلا خطية" (عب٤: ١٥) .

ولم تكن تجاربه على الجبل سوى مثال للتجارب التى شملت حياته كلها .

والسيدة العذراء أيضاً كانت حياتها مملوءة بالتجارب، منذ يتمها المبكر، وحبلها العذراوى الذى شك فيه يوسف أولاً، ثم اضطرارها

للسفر إلى مصر ...

والأنبياء جميعاً تعرضوا للضيقات .

كم من ضيقات لاقاها داود النبى من شاول الملك ، الذى كان يطارده فى كل مكان لكى يقتله .. ويوسف الصديق تعرض لتجارب عديدة ، من أخوته، ومن إمرأة فوطيفار . بيع كعبد، وألقى به فى السجن، وهو رجل بار .

ودانيال النبى ألقى به فى جب الأسود. والثلاثة فتية القديسون ألقوهم فى أتون النار . وبطرس وبولس الرسولان ألقى بهما فى السجن . واسطفانوس الشماس رجموه . وما أكثر الضيقات التى تعرض لها الشهداء والمعترفون ..

✠ ✠ ✠

فلا يظن أحد إذن أن التجارب والضيقات هى للخطاة بسبب خطاياهم وإنما هى لجميع الناس ، وبالأكثر للأبرار والقديسين .

وقد قال السيد المسيح لتلاميذه القديسين "فى العالم سيكون لكم ضيق" (يو ١٦: ٣٣) وقيل أيضاً فى المزمور :

" كثيرة هى بلايا الصديق ، ومن جميعها ينجيه الرب" (مز ٣٤: ١٩) .

جميع الأبرار اجتازوا فى بوتقة الألم ، واختبروا الضيقة

والتجربة . ولم يستثنهم الله من ذلك، بل كانت آلامهم أكثر .

وهنا نضع أمامنا قاعدة هامة وهى أن التجارب لا تعنى تخلى الله .

التجارب لا تعنى تخلى الله

إن الله كأب حنون ، لا يتخلى عن أولاده مطلقاً . وسماحه بالتجربة لا يعنى مطلقاً أنه قد تخلى عنهم، أو أنه قد رفضهم . ولا يعنى أيضاً غضبه أو عدم رضاه .

بل هو يسمح بالتجربة لمنفعتهم ، ويكون معهم فى التجربة: يعينهم ويقويهم ويحافظ عليهم ، ويسندهم بيمينه الحصينة .

لقد سمح أن دانيال النبى يلقى فى جب الأسود. وفى نفس الوقت لم يسمح مطلقاً للأسود أن تؤذيه. بل خرج دانيال سليماً من الجب، وهو يغنى قائلاً "إلهى أرسل ملاكه، وسد أفواه الأسود" (دا٦: ٢٢).

وسمح بإلقاء الثلاثة فتية فى أتون النار، ولكن "لم تكن للنار قوة على أجسامهم. وشعرة من رؤوسهم لم تحترق، وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأتِ عليهم" (دا٣: ٢٧) . وكان الرب يتمشى معهم فى أتون النار .

وفى هذه القصة درس عميق هو :

أن اللـه لا يمنـع النـــار عـن أولاده ، ولكنــه يمنعهــا مــن أن تحرقهم .



إلهنا الحنون لا يمنع الحوت من أن يبلغ يونان النبى. وفى نفس الوقت لا يسمح له بإيذائه . ويخرج يونان من بطـن الحـوت سليماً، لكى يؤدى رسالته . وتحمل قصته لنا درساً ورمزاً ..

لقد سمح الله لشاول الملك أن يطارد داود . وفى نفس الوقت لـم يتخل الله عن داود ، ولم يسمح لشاول بإيذائه .

✠ ✠ ✠

إنه يسمح بالضيقة ، ولكن بشرط أن يقف معنا فيها :

وهكذا يغنى المرتل فى المزمور "لولا أن الرب كان معنا، حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء ، عند سخط غضبهـم علينـا.. مبارك الرب الذى لـم يسـلمنا فريسـة لأسنانهم، "نجـت أنفسـنا مثـل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا" (مز ١٢٤) .

✠ ✠ ✠

إنه اختبار روحى جميل ، أن نرى اللـه فـى التجـارب .. نـراه معنا، وبقوة ...

وربما لولا التجارب ما كنا نراه هكذا ... وهذه هى إحدى فوائد التجارب العديدة .

العمق الروحى للتجارب ، هو أنه لا يجوز لنا أن نراها ، بدون أن نرى الله فيها ...

فالله قد يسمح لقوى الشر أن تقوم علينا. ولكنه فى نفس الوقت يأمر القوات السمائية أن تقف معنا وتحمينا ونحن نغنى مع أليشع النبى الذى إجتاز نفس التجربة ، ونقول : " إن الذين معنا أكثر من الذين علينا " (٢مل٦: ١٦) . ويقول الرب لكل واحد منا "لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير فى النهار .. يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. وأما أنت فلا يقتربون إليك" (مز ٩١: ٥، ٧) .

✠ ✠ ✠

من أجل هذا كله أقول :

إن المؤمن لا يمكن أن تتعبه التجربة أو الضيقات ...

ذلك لأنه يؤمن بعمل الله وحفظه .

ويؤمن أن الله يهتم به أثناء التجربة ، أكثر من اهتمامه هو بنفسه ...

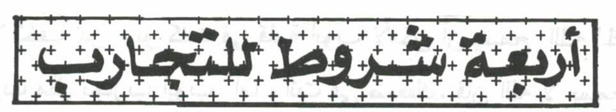
إنه يؤمن بقوة الله الذى يتدخل فى المشكلة . ويؤمن أن حكمة

الله لديها حلول كثيرة ، مهما بدت الأمور معقدة .

لذلك فالمؤمن لا يفقد سلامه الداخلى مطلقاً أثناء التجربة ، ولا يفقد بشاشته بل يتذكر فى ثقة كبيرة قول الرسول "أحسبوه كل فرح يا أخوتى، حينما تقعون فى تجارب متنوعة" (يع١: ٢) ...

✠ ✠ ✠

إن كل تجربة هى بلا شك خبرة روحية جديدة يتمتع بها الإنسان، وتعمق مفاهيمه الروحية. وفيها يرى الله كيف يتدخل وكيف يعمل ... ويجمل بنا الآن أن نضع ثلاثة شروط للتجارب التى يسمح بها الله ...



أربعة شروط للتجارب

إنها قواعد أربع ، وضعها لنا الكتاب المقدس فى حديثه عن التجارب، وهى :

١ - لا يسمح الله بتجربة هى فوق طاقتكم البشرية .

إن الله يعرف احتمال كل واحد منا. ولا يسمح أن تأتيه التجارب إلا فى حدود احتمال طاقته البشرية . وفى ذلك يقول الكتاب "ولكن الله أمين، الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون" (١كو١٠: ١٣) .

ولعلك تقول: ما أصعب التجربة التى وقعت على أيوب الصديق، فى موت كل أولاده، وضياع كل ثروته، وفقد صحته، وتخلى كل أصحابه .. من يستطيع أن يحتمل كل هذا ؟!

أقول لك : لولا أن أيوب كان بإمكانه أحتمال التجربة ، ما سمح الله بها له ..

إن القامة الروحية الجبارة التى لأيوب ، كانت تناسب التجربة الهائلة التى وقعت عليه . فقد كان أيوب رجلاً كاملاً ومستقيماً، وليس مثله فى الأرض (أى٢: ٣) .

✠ ✠ ✠

لا تخف إذن ، لو كنت فى قامة أيوب لأمكن أن يسمح الله لك بتجارب مثل تجارب أيوب. أما وأنت فى ضعفك، فإن الله لا يسمح لك إلا بما تقدر على إحتماله .

هل تخاف أن تحدث لك تجارب مثل التى حدثت للقديس الأنبا أنطونيوس؟! هذا الذى ظهرت له الشياطين بهيئة وحوش مفزعة مخيفة، والذى ضربته الشياطين حتى تركته يوماً بين حى وميت..

اطمئن . لن يحدث لك هذا ، إلا إذا وصلت إلى الدرجة التى تحتمل فيها مثل القديس أنطونيوس ، وتنتصر مثلما انتصر ...

✠ ✠ ✠

الشرط الثانى ومعها المنفذ :

٢ - تأتى التجربة ومعها المنفذ :

أى تأتى ومعها الحل . فلا توجد تجربة هى ظلمة حالكة السواد، بدون أية نافذة من نور. بل هوذا الكتاب يقول عن الله "بـل سيجعل مع التجربة المنفذ ، لتستطيعوا أن تحتملوا" (اكو١٠: ١٣) .

لهذا ليس هنـاك داعٍ لأن ييـأس أحـد فـى وقـت التجربـة - فلكل تجربة حل، بل حلول .

✠ ✠ ✠

لا تنظر إلى التجربة فى شدتها الحاضرة . إنمـا أنظـر إليهـا فـى رجاء، يرى الحل الإلهى قادمـاً ، حتـى إن كـانت العيـن البشـرية لا تراه الآن، ولكنها تراه بعيـن الإيمـان التـى تعرف تمامـاً محبـة اللـه وقدرته على الحل ...

✠ ✠ ✠

إن التجربـة تـأتى ومعهـا النعمـة ، ومعهـا المعونـة الإلهيـة ، ومعها الحفظ والحلول ...

وحتى إن كنت أنت من النوع الذى لا يحتمل ، فالله قـادر وقت التجربة أن يهبك إحتمالاً وصبراً وعزاءً ...

وهذا منفذ آخر للتجربة ، تمر منه وتعبر ، ولا تستمر ضاغطة.

إن التجارب الصعبة القوية ، هـى فقط للأقويـاء ، أمثـال أيـوب وأنطونيوس .. وهى أيضاً للضعفاء الذين يمنحهم الله قوة وقتـذاك.. قوة ما كانوا يتخيلونها فى أنفسهم ...

قاعدة أخرى ينبغى أن نضعها أمامنا فى التجربة وهى :

✠ ✠ ✠

٣ - التجارب التى يسمح بها الله هى للخير، أو تنتهى بخير.

وفى ذلك قال الرسول "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو٨: ٢٨) .

ولهـذا "أحسـبوه كـل فـرح يـا أخوتـى حينمـا تقعـون فـى تجـارب متنوعة" (يع١: ٢) .

هذا الإيمان بخيرية التجارب ، يعطـى الإنسـان المجـرب سـلاماً وهدوءاً واطمئناناً، فلا تطحنه التجربة، ولا تضغط عليـه، بـل علـى العكس تمنحه فرحاً .

✠ ✠ ✠

٤ - شرط رابع للتجربة، وهو أن لها زمناً محدداً تنتهى فيه.

فلا توجد ضيقة دائمة ، تستمر مدى الحياة . لذلك فى كل تجربة تمر بك، قل "مصيرها تنتهى" . سيأتى عليها وقت تعبر فيه بسـلام. إنمـا خـلال هـذا الوقـت ينبغـى أن تحتفظ بهدوئـك وأعصـابك ، فـلا تضعف ولا تنهار، ولا تفقد الثقة فى معونة الله وحفظه .



التجربة شئ نافع بلا شك. ولولا منفعتها ، ما كان الله الشفوق يسمح بها ...

كثيرون يريدون أن يكون طريق الملكوت سهلاً مفروشاً بالورود! ولكن هذا عكس التعليم الذى شرحه لنا الإنجيل المقدس ، إذ قال لنا الرب فيه :

" ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه" (مت٧: ١٤) .

وقال "فى العالم سيكون لكم ضيق" (يو١٦: ٣٣) . وقيل فى الإنجيل أيضاً "بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله" (أع١٤: ٣٣) .

✠ ✠ ✠

هذه الضيقات نحتملها لكى نثبت أننا جادون فى سيرنا إلى الملكوت. ولكى ندخل إلى هذا الملكوت باستحقاق، لأننا بذلنا وتعبنا من أجله ...

إن كان التلميذ يتعب ويكد، لكى يحصل على شهادة دراسية ..

وإن كان كل صاحب عمل لابد أن يتعب ، لكى ينجح فى عمله ..

هكذا الطريق الروحى: ينبغى أن نتعب فيه لنستحق الملكوت...
وصدق الرسول فى قوله :

"كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨) .. والتعب قد نبذله بإرادتنا ، أو نحتمله إن وقع علينا بغير إرادتنا .

✠ ✠ ✠

وهكذا تكون التجارب التى يحتملها المؤمنون من أجل الله والثبات فى محبته .. وقد يكون بعضها فى مصارعة النفس من الداخل .. وبعضها فى تحمل الضيقات من الخارج .

وهوذا القديس بولس الرسول يقول :

"بل فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله، فى صبر كثير، فى شدائد ، فى ضرورات، فى ضيقات فى ضربات فى سجون، فى أضطرابات، فى أتعاب، فى أسهار، فى أصوام" (٢كو٦: ٤، ٥) .

ومع ذلك يشرح كيف أنه لم يتضايق - هو وزملاؤه - بشئ من هذا ، ولم يفقدوا سلامهم، ولم يفقدوا الرجاء بالله، فيقول: "مكتئبين فى كل شئ .. لكن غير متضايقين ، مضطهدين .. لكن غير متروكين" (٢كو٤: ٨، ٩) .. "كمائتين وها نحن نحيا، كحزانى ونحن دائماً فرحون .. كأن لا شئ لنا، ونحن نملك كل شئ" (٢كو٦: ٩، ١٠) .

فى الضيقات نشعر بالقوى السمائية الكثيرة المحيطة بنا فنتعزى.

فنحن لسنا وحدنا مطلقاً فى التجربة .. ولا فى وقت الضيقة ، بل تحيط بنا نعمة الرب ومحبته ، وتحيط بنا قوات الملائكة القديسين التى قال عنها الله أنها تحيط بخائفيه وتنجيهم، وتحيط بنا أيضاً أرواح القديسين، تشجعنا وتقوينا .. إنها خبرة روحية .

✠ ✠ ✠

ومن فوائد الضيقات فى العالم ، أننا لا نتمسك بمحبة هذا العالم مشتاقين إلى السماء .

ولو كان النعيم فى هذه الدنيا ، ما كنا نشتاق إلى النعيم الأبدى ، فى الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد ، حيث "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله لمحبى إسمه القدوس" .. ونحن كما قال الرسول :

"غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى، بل إلى التى لا ترى.. لأن التى ترى وقتيه، أما التى لا ترى فأبدية" (٢كو٤: ١٨) .

من أجل ذلك كان الآباء القديسون يشعرون أنهم على الأرض غرباء، يعيشون مشتاقين إلى الوطن السمائى .. ينظرون كل حين بالإيمان إلى "المدينة التى لها الأساسات ، التى صانعها وبارئها الله"

(عب١١: ١٠) .

ولولا الضيقات لتشبث الناس بالبقاء فى غربة هذا العالم الزائل .

لذلك نحن نقول عن الشخص فى يوم وفاته ، أنه قد تنيح أى استراح .

استراح من هذا العالم الزائل وكل ما فيه من شهوة الجسد والروح وتعظم المعيشة .. واستراح من التعب الذى يبذله للثبات فى روحياته ، واستراح من الضيقات والشدائد والتجارب التى تختبر إرادته هنا فى هذه الحياة الأرضية، واستراح مما فى العالم من أمراض ومن تعب للجسد وللنفس .

الإنسان الروحى لا يتعب من الضيقات .. وإنما يأخذ ما فيها من فائدة روحية .. ويفرح بالأكاليل التى ينالها بإحتمال التجارب .

لا تهزه التجربة .. إنما فى التجربة يختبر حياة الإنتصار الروحى عليها ... ويختبر كيف أن الله "يقوده فى موكب نصرته" (٢كو٢: ١٤) .

إن الإنسان لا يكلل إلا إذا انتصر.. ولا ينتصر إلا إذا حارب .. ولا يحارب إلا إذا تعرض لضيقات تمتحن مدى روحانيته : حياته وثبات إرادته تابعة للمشيئة الإلهية .

✠ ✠ ✠

وفى التجارب يتلامس المؤمن مع محبة الله العاملة فى حياته.

إن الله إذ يرى محبة الإنسان له فى وقت الضيقة ، يكافئه بما يظهره له من حب .. وكم من قديسين تمتعوا بهذا الحب فى وقت الضيقة .

فالقديس يوحنا الإنجيلى رأى تلك الرؤيا العجيبة وهو منفى فى جزيرة بطمس من أجل الشهادة بكلمة الله (رؤ ١) .

والقديس بطرس اختبر عناية الله به وهو فى السجن (أع١٢)... واختبر نفس العناية القديسان بولس وسيلا وهما فى السجن أيضاً (أع١٦) .

ما أجمل عبارات القديس يوحنا ذهبى الفم وهو يتأمل قول القديس بولس عن نفسه " أنا الأسير فى الرب" (أف٤) .

حديث جميل عجيب عن الضيقات وبركاتها ، بودى أن أترجم لكم بعضاً منه وأنشره ...

✠ ✠ ✠

تحدث التجارب أحياناً بحسد من الشياطين .

وبخاصة فى أيام الصوم والتناول والحرارة الروحية .

إن كان الإنسان يستعد فى الصوم، لكى يسلك سلوكاً روحياً ،

فإن الشيطان يستعد أيضاً لمقاتلته ومحاربته ، لكى يسقطه فى الخطية أو فى الفتور ..

أعنى أن الإستعداد هنا متبادل : استعداد من جانب الإنسان للنمو فى محبة الله، واستعداد من الشيطان لإسقاطه .

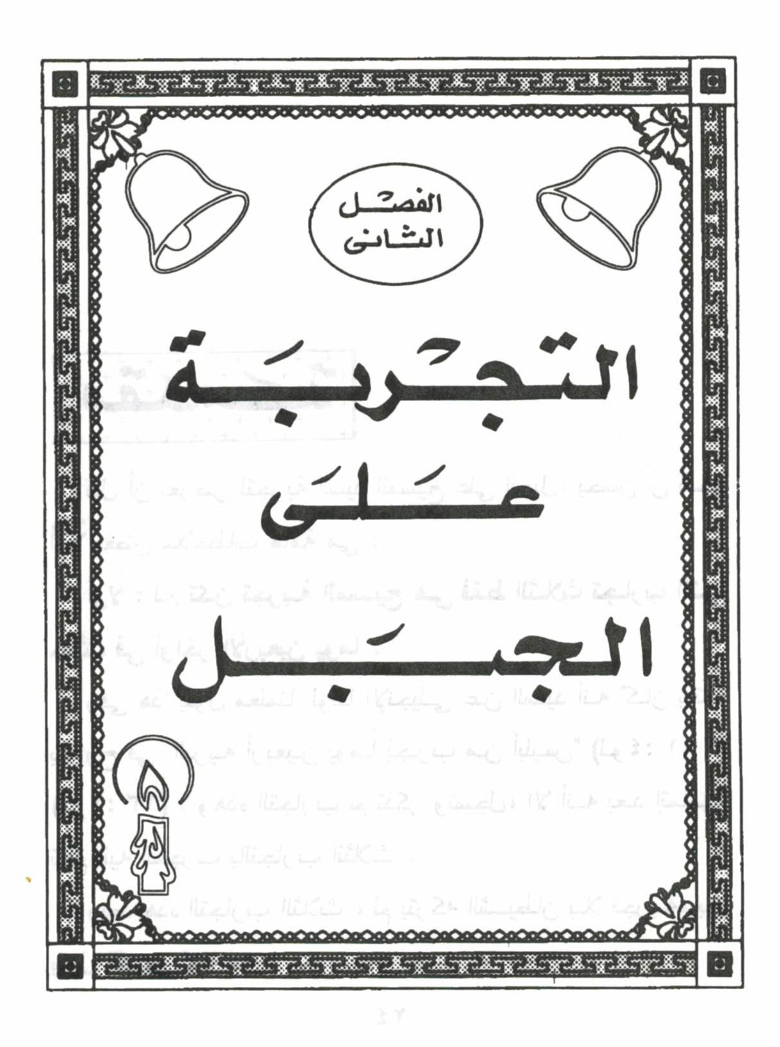
إن الشيطان يحزن حينما يجد إنساناً يسير فى طريق الله .

لذلك إن حلت بك التجارب فى فترة الصوم ، لا تحزن . فهذا دليل على أن صومك له مفعوله ، وقد أزعج الشيطان .

بل إن بعدت عنك التجارب ، يمكن أن تتساءل : لماذا يتركك الشيطان بدون تجارب ؟! هل احتقر أو استصغر جهادك الروحى؟!

أعلموا أن ربنا يسوع نفسه ، حاربه الشيطان بالتجارب فى صومه الأربعينى .

وهذا ما سوف نشرحه الآن .



الفصل الثانى

التجربة على الجبل



قبل أن نعرض لتجربة السيد المسيح على الجبل، يحسن أن نقدم أولاً بعض ملاحظات هامة هى :

أولاً : لم تكن تجربة المسيح هى فقط الثلاث تجارب التى حدثت فى أواخر الأربعين يوماً .

وفى هذا يقول معلمنا لوقا الإنجيلى عن السيد أنه "كان يقتاد بالروح فى البرية أربعين يوماً يُجرب من أبليس" (لو٤: ١، ٢) (مر ١: ١٣) . وهذه التجارب لم تذكر وتسجل، إلا أنه بعد إتمامها تقدم إليه المجرب بالتجارب الثلاث .

وبعد هذه التجارب الثلاث ، لم يتركه الشيطان بلا تجربة، بل يقول القديس لوقا إنه :

"ولما أكمل إبليس كل تجربة، فارقه إلى حين" (لو٤: ١٣) .

وعبارة "إلى حين" تعنى أنه عاد إليه مرة أخرى أو مراراً كثيرة ولعل من أمثلتها ، لما تحدث عن صلبه بعد أيام، تقدم إليه بطرس وانتهره قائلاً : "حاشاك يارب.. لا يكون هذا" فأجابه السيد "اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى" (مت١٦: ٢١- ٢٣) .

أى أن الشيطان قدم تجربة على لسان تلميذه بطرس ..

وكانت التجربة أن يبعد عن الصليب . ثم عاد الشيطان ليقدم نفس التجربة وقت الصلب، ويقول له على لسان اللص الشمال "إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا" (لو٢٣: ٣٩) .

نفس التجربة على لسان المجتازين "خلص نفسك وانزل عن الصليب، لينزل الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب، لنرى ونؤمن' (مر١٥: ٢٠، ٢٢) .

وأيضاً " إن كنت إبن الله : فانزل عن الصليب.. فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به" (مت٢٦: ٤٠، ٤٢) .

حقاً ، إن النزول عن الصليب هو شهوة الشيطان ، وإن كان هذا المصلوب هو إبن الله .

والتجارب أيضاً كانت منذ الميلاد . وذلك فيما أثاره هيرودس الملك من حروب ضد هذا المولود، أدت إلى قتل كل أطفال بيت

لحم، وأدت أيضا إلى النزول إلى مصر، وما حدث هناك من ضيقات كلما كانت تسقط الأصنام أمام هذا المولود (أش١٩: ١).

✠ ✠ ✠

ثانياً : التجارب شملت كل حياة المسيح ، وكانت لها فوائدها .

وفى ذلك يقول الكتاب عنه "مجرب فى كل شئ مثلنا بلا خطية" "يرثى لضعفاتنا" (عب٤: ١٥) . وأيضاً "فى ما هو قد تألم مجرباً، يقدر أن يعين المجربين" (عب٢: ١٨) .

وتجربة المسيح لا تدل على ضعف وإنما تدل على قوته :

فهى تدل على قوته ، من حيث أنه انتصر على الشيطان فى كل تجاربه.. وأيضاً لأنه لولا قوته، ما كان يحاربه الشيطان هكذا .

✠ ✠ ✠

وهنا نضع قاعدة هامة وهى :

الشيطان شغوف بمحاربة الأقوياء

فهو يحارب أيوب لأنه قوى . هذا الذى قال له الرب عنه : "هل جعلت قلبك على عبدى أيوب؟ لأنه ليس مثله فى الأرض. رجل كامل، ومستقيم، يتقى الله ويحيد عن الشر" (أى١: ٨) . وكمال أيوب لم يمنع الشيطان من محاربته ، بل قلق إلى ذلك لأكثر.. وانتصار أيوب فى التجربة الأولى، لم يمنع الشيطان من الأستمرار

فى الحرب أيضاً .

كذلك حارب إيليا ، وهو قوى .. بعد أنتصار إيليا النبى العظيم على أنبياء البعل والسوارى ، وتطهير الأرض منهم، وبعد إنزاله المطر على الأرض.. لم يمتنع الشيطان عن محاربته . بل حاربه بالخوف من الملكة إيزابل (١مل١٩: ٢، ١٠) .

وقاتل الشيطان سليمان أحكم الناس . هذا الذى أخذ الحكمة كموهبة من الله نفسه (١مل٣: ١٢) . ولم يكن هناك أحد حكيماً مثله ، لا من قبل ولا من بعد . سليمان الذى تراءى له الله مرتين: فى جبعون (١مل٣: ٥) . وفى أورشليم (١مل٩: ٢) . سليمان هذا يجربه الشيطان تجربة مذهلة ، بعد زواجه بالأجنبيات لدرجة أنه فى زمان شيخوخته حدث "أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى.. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب " (١مل١١: ٤) .

وقاتل الشيطان فلاسفة وعلماء ، مثل أوريجانوس، أعظم اللاهوتيين فى عصره .

هذا الذى قال عن نفسه "أيها البرج العالى كيف سقطت؟" .

واستطاع الشيطان أن يسقط فى البدعة والهرطقة : القس أريوس، أشهر وعاظ الأسكندرية، بل أسقط مقدونيوس ونسطور، وكلاهما من بطاركة القسطنطينية، وثيودوريت اللاهوتى الكبير

معلم نسطور، وأوطاخى أعظم رهبان القسطنطينية، والأب الروحى لدير كبير ...

الشيطان لا يبالى ، ولا يوقر الكبار ، بل يحاربهم . وكما قيل فى الخطية أنها :

"طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء" (أم٧: ٢٦) .

وهكذا حارب الشيطان بطرس الرسول الذى كان أكثر التلاميذ حماساً ، واستطاع أن يجعله ينكر المسيح ثلاث مرات، وهو يسب ويلعن ويقول "لا أعرف الرجل" (مت٢٦: ٧٤) . حتى استحق أن يقول له الرب "هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة. ولكنى طلبت لكى لا يفنى إيمانك" (لو٢: ٣١، ٣٢) .

وبنفس الأسلوب كان الشيطان مهتماً بمحاربة النساك والسواح والمتوحدين . أما الضعفاء ، فلا يحتاج الشيطان إلى محاربتهم: إن كانوا ساقطين من تلقاء أنفسهم .

هناك ثلاثة أنواع من الثمار :

نوع ساقط عند أسفل الشجرة ، لا يحتاج إلى جهد لإسقاطه . ونوع آخر يحتاج إلى من يهز الشجرة هزاً ليسقط ما عليها من ثمار، ونوع ثالث يلزمه خبير يصعد إلى أعلى الشجرة لجمع ثمارها، كما فى سباطات النخيل مثلاً ...

والشيطان لا يلزمه أن يبذل جهداً لإسقاط الثمار الساقطة عند أسفل الشجرة .

هؤلاء ، يقف ناظراً إليهم ولو من بعيد ، فرحاً بسقوطهم ، موفراً جهده إلى من يلزمه الصعود إليهم ، أو إلى هزهم هزاً ...

✠ ✠ ✠

ثالثاً : التجربة ليس معناها السقوط .

الشيطان يجرب الكل ، ولكنه لا يستطيع أن يسقط الكل ... وهو فى التجربة مجرد مقترح ، يقدم أفكاراً ، ولا يملك أن يرغم أحداً على طاعته . كل شخص له حرية إرادته ، يقبل منه أو لا يقبل ... وكثيرون قد رفضوه وهزموه ...

إنه قد جرب السيد المسيح ولكن السيد رفضه ولم يقبل منه .

رأى المسيح قوياً ، فتقدم لمحاربته كعادته .. ولكن المسيح هزمه .. أرانا كيف يكون الإنتصار فى حروب الشياطين .

على أننا نلاحظ ملاحظة رابعة فى تجربة المسيح على الجبل ، وهى :

✠ ✠ ✠



رابعاً : التجربة هنا مصدرها حسد الشيطان :

طبع الشيطان هو هذا : أنه يكره كل من هو بار، وكل من هو ناجح فى حياته ، وكل من نال عظمة وعلواً من الله والناس .

وكان المجد الذى ناله السيد المسيح فى العماد ، مجداً لم يستطع الشيطان أن يحتمله :

هوذا السموات قد انفتحت ، وروح الله نزل عليه بهيئة حمامة. وصوت من السماء يقول : هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت (مت٣: ١٦، ١٧) ...

فهل يمكن للشيطان أن يسكت على ابن حبيب يسرّ به الله ... دون أن يتدخل ليرى ما نوع هذه البنوة! ويحاول أن يهزّ هذا السرور بها ...

كذلك أثارت حسد الشيطان ، العبارات التى فاه بها القديس يوحنا المعمدان .

من هذا الذى يقول له المعمدان "أنا محتاج أن أعتمد منك" (مت٣: ١٤) . أهو حقاً أعظم من يوحنا المعمدان الذى "خرجت إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن،

واعتمدوا منه معترفين بخطاياهم" (مت٣: ٥، ٦) .

ومن هو هذا الذى قال عنه المعمدان : يأتي بعدى من هو أقوى منى، الذى لست أنا أهلاً أن أحمل حذاءه .. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (مت٣: ١١) . بل يقول عنه "فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه . هو الذى يأتي بعدى، الذى صار قدامى الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه" (يو ١: ٢٦، ٢٧) .

كل هذا أثار حسد الشيطان ، من هذا الذى هو أعظم من المعمدان . وإن كان قد قال عنه لليهود " فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه ". فلابد أن أتقدم أنا لكى أعرفه: من هو؟ وماذا قد جاء ليفعل ؟

وهنا رأى الشيطان فى تجربته للمسيح معركة مثيرة .

فهو يحارب هنا شخصاً غير عادى ، شهدت له السماء ، وشهد له المعمدان. وهو شخص لم يرَ الشيطان فيه أية نقطة ضعف على الإطلاق طوال السنوات الماضية . حياته كلها قداسة مطلقة فى كل مراحل السن. وهذه القداسة تزعج الشيطان وتثيره، فيريد أن يحاربها ...

إن حربه مع هذا القوى ، لاشك لها لذتها ! حرب تنقذه من الروتين الذى أسقط به كثيرين ...

أولئك الذين قال عنهم الكتاب "الكل قد زاغوا معاً وفسدوا" " ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد" (مز١٤: ٣) ... وكأن الشيطان يقول: فلنجرب إذن مع هذا الذى لا استطيع أن أبكته على خطية...

ضعفات البشر أصبحت كلها معروفة لى .. وكل حروبى أصبحت متكررة ومألوفة ومملة .. فلندخل إذن فى حرب مع هذا القوى، نقدم به عرضاً جديداً. لنصعد إذن معه على الجبل ونختبره...

لقد مرّت عليه ثلاثون سنة وهو ساكت، وأنا ساكت. فإن بدأ يعمل، سأعمل أنا أيضاً ...!

خامساً : هناك عبارة أزعجت الشيطان جداً وكانت سبباً رئيسياً للتجربة ...

وهى قول القديس يوحنا المعمدان عن السيد المسيح "هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم" (يو١: ٢٩) ... أتراه إذن الذى قال عنه أشعياء النبى " كلنا كغنم ضللنا، مِلنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش٥٣: ٦) ؟ أهو إذن الفادى المنتظر ؟

ثم ما معنى قول المعمدان عنه من قبل "يأتى بعدى رجل صار قدامى ، لأنه كان قبلى " (يو١ : ٣٠) . ماذا يقصد بقوله "كان قبلى"؟ أكان له وجود قبل مولده؟ وهل يرتبط هذا بعبارة "ابنى الحبيب الذى

به سررت" ؟هل هذا إذن هو إبن الله وقد جاء ليرفع خطية العالم كله .

وهنا انزعج الشيطان ، لأن معنى هذا هو ضياع تعبه الذى تعب فيه منذ البدء . وكأنى به يقول: هذا أمر لا يمكن السكوت عليه. لابد أن أتأكد لكى أتصرف بما يلزم . يبدو أن وقت الجد ابتدأ، ونحن داخلون على معركة لا مفر منها. ويبدو أن هذا عدو من نوع خاص، لم أتعود حربه من قبل !!

سادساً : لم تكن تجربة الشيطان تدور حول نقاط عارضة ، إنما كانت تشمل خط الحياة كله ...

إنه أراد – كما سنرى – أن يقدم مقترحات تغير الأهداف والوسائل كلها ... تغير المبادئ التى وضعها المسيح أمامه فى تنفيذ رسالته ...

ولكن السيد المسيح كان راسخاً جداً فى القيم التى وضعها أمامه. واستطاع أن يصد الشيطان ، وأن يطرده أخيراً .

فما الذى كان يقصده الشيطان ؟ وكيف تصرف ؟ وكيف تصرف الرب معه ؟

الفرق فى التجربة بين آدم والمسيح

١ - آدم وهو أحد مخلوقات الله ، بدأ حياته بأن منحه الله صورته ومثاله منذ خلقه .. بينما السيد المسيح ، وهو إبن الله الوحيد، وبهاء مجده ورسم جوهره (عب١: ٣) بدأ خدمته فى رسالة تجسده، بأن أخلى ذاته وأخذ شكل العبد ... ووجد فى الهيئة كإنسان" (فى ٢: ٧، ٨) .

٢ - بدأ آدم حياته في جنة فيها كل أنواع الخيرات هى جنة عدن (تك٢). أما السيد المسيح فبدأ خدمته فى برية قاحلة ، فى قفر، على الجبل .. كما كان ميلاده فى مزود بقر .

٣ - بدأت تجربة الشيطان للإنسان الأول بأن أغراه بالأكل . وهكذا فعل مع السيد المسيح . غير أن الإنسان الأول قبل إغراء الشيطان وأكل ، وهو غير جائع. أما السيد المسيح فرفض الأكل وهو فى قمة الجوع ...

٤ - الإنسان الأول أكل من شجرة محرمة، وقد سمع عقوبة من الله بخصوص أكلها . أما السيد المسيح ، فرفض الأكل من خبز هو محلل للجميع .

٥ - الإنسان الأول أطاع الشيطان فى مشورته ، من أول تجربة . أما السيد المسيح فرفض كل مشورات الشيطان، ثلاث مرات على الجبل ، ومرات عديدة فيما بعد (لو٤: ١٣) ، بالإضافة إلى تجارب أخرى خلال الأربعين يوماً (مر ١: ١٣) .

٦ - الإنسان الأول كسر وصية الله . أما السيد المسيح فقد تمسك بكل ما هو مكتوب، وجاهر بذلك (مت٤: ٤، ٧، ١٠) .

٧ - الإنسان الأول وقع فى الكبرياء ، حينما اقتنع أنه سيصير مثل الله (تك٣: ٥) . أما السيد - وهو الله الظاهر فى الجسد (اتى٣: ١٦) . فقد أخلى ذاته . وسلك بإتضاع أمام يوحنا المعمدان، حينما تقدم ليقبل معمودية التوبة، وهو غير محتاج إلى توبة. كما أنه تواضع أيضاً إذ سمح للشيطان أن يجربه ، وأن يختار ميدان المعركة معه كما يشاء ...

٨ - الإنسان الأول اشتهى سلطاناً ليس له . أما السيد المسيح فقد تنازل عن استخدام سلطانه الخاص، ورفض أن يستخدم لاهوته من أجل راحة ناسوته ، ومن أجل نشر رسالته بالمعجزات ...

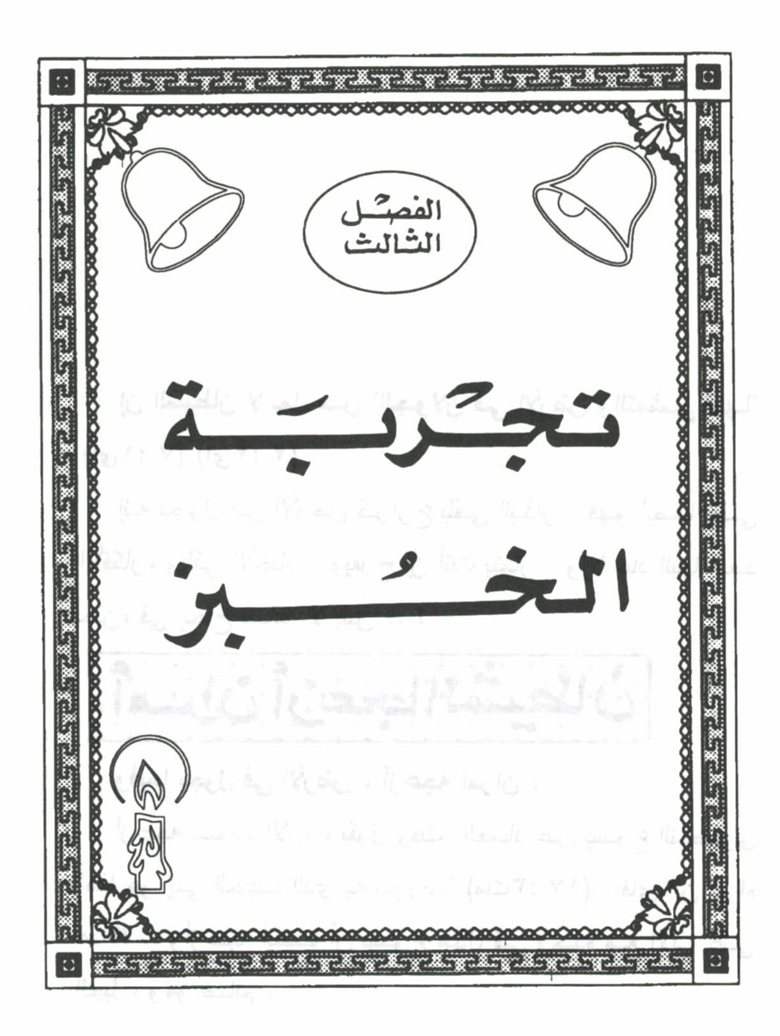
٩ - الإنسان الأول - فى تجربته • سقط فى الخطية ، واستحق حكم الموت . أما السيد المسيح فاستطاع أن "يكمل كل بـر" (مت٣: ١٥) . واستطاع أيضاً أن يخلص الإنسان من الموت ومن الهلاك .

١٠ - الإنسان الأول سلك بطريقة جسدية ، فيها أكمل شهوة الجسد فى الأكل . أما السيد المسيح ، فإنه سلك بطريقة روحية ، تتغذى بكل كلمة تخرج من فم الله (مت٤: ٤) .

١١ - الإنسان الأول جعل هدفه ذاته وكيف تزيد . فكانت النتيجة أنه فقد كل شئ . أما السيد المسيح فلم يهدف إلى علو الذات. بل سلك بإخلاء الذات. وهكذا أعاد للإنسان ما فقده .

١٢ - الإنسان الأول ، بسقوطه فى التجربة ، أدخل إلى العالم الموت والفساد ، كما قال القديس بولس الرسول : "كأنما بإنسان واحد ، دخلت الخطية إلى العالم ، وبالخطية الموت. وهكذا أجتاز الموت إلى جميع الناس ... " (رو٥: ١٢) .

أما السيد المسيح فبانتصاره فى كل تجربة وبقدسية حياته البشرية التى بلا خطية ، وليست تحت حكم الموت ، استطاع أن يفدى البشرية كلها ، وينقذها من الموت ، ويهبها التبرير ، منقذاً إياها من الفساد ...


الفصل
الثالث
تجربة
الخبز

إن الشيطان لا يملّ من "الجولان فى الأرض والتمشى فيها" (أى١: ٧) (أى٢: ٢) .

إنه يجول فى الأرض كزارع يلقى البذار . فهو أيضاً يلقى الأفكار، ويلقى الأخبار . ويفرح إن أتت بثمار . وإلا عاد إليها بعد حين، فى إلحاح صامد لا يلين .. !



وفيما يجول فى الأرض ، أزعجه أمران :

أزعجه صوت الآب ، يقول وقت العماد عن يسوع الناصرى "هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٧) . فأى ابن تراه هذا؟! .. وأزعجه أيضاً أن يسوع هذا، فى وحدة مع الآب على الجبل، وهو صائم ...

والشيطان بطبيعته يكره توحد الأبرار وصومهم، ويضايقه ما ينالونه فى خلواتهم من روحانية، وما يهبهم الله من نعمة .. لذلك قرر التدخل . وكأنه يقول للسيد المسيح :

لماذا تجلس وحدك على الجبل ؟ لقد جئت لكى أجلس معك ...

إن أردت أن تنشر الملكوت ، فإن فى جعبتى نصائح ومقترحات كثيرة، لأقدمها لك .. هى من ثمار شجرة المعرفة ، التى قدمت ثمرة منها لحواء وآدم من قبل .. دعنا نتفاهم : أنت تريد أن تنتصر. وأنا أيضاً أريدك أن تنتصر ، على يدىّ !!

إن الشيطان يحب جداً عمل المرشد .. !

فإن لم يقبل البعض إرشاداته ، فعلى الأقل يدخل معهم فى حوار. وفى هذا الحوار يحاول أن يدخلهم فى ميدانه . نعم ما أحلى الحوار بالنسبة إلى الشيطان ..! وحواره كله شباك ...

فلما رأى السيد المسيح وحيداً مع الآب على الجبل ، قال فى نفسه: هلمّ بنا نشغله .. نقطع تأملاته . ونحاول أن ننزله من مستوى الإلهيات والسماويات، إلى الأرضيات ، أو إلى أى مستوى آخر، ولو بدا من الظاهر روحياً !!

المهم أنه لا يتفرغ للجلوس مع الآب .. نشغله بالخبز ، بالمناظر الروحية ، بكل ممالك الأرض ومجدها ...

وكـانت للشيطان خبرة سابقة مـع آدم وحـواء، حينمـا شـغلهما بالشجرة الشهية للنظر ، وبالثمرة الجيدة للأكل ، وبالمعرفة: معرفـة الخير والشر، وبالمجد الذى يصيران فيه مثل الله ... !



سببان لجرأته

على أن الجرأة التى بها تقدم الشيطان لمحاربة المسيح ، كـان لها سببان : أولهما إخلاء السيد لذاته .

ولم يكن اخلاؤه لذاته هو فقط حينمـا تجسد "وأخذ شكل العبد، وصـار فـى الهيئـة كإنسـان" (فى٢: ٧) . وإنمـا هذا الإخـلاء كـان سياسة عامة انتهجها إلى وقت صعوده إلى السماء .

بهذا الإخلاء تقدم إلى معمودية التوبـة ، وهـو غير محتـاج إلـى معمودية، ولا إلى توبـة . بـل بهذا الإخـلاء هرب إلـى مصـر فـى طفولتـه مـن وجـه الملـك هيرودس . وبهذا الإخـلاء سـمح للكتبـة والفريسـيين أن يجـادلوه وأن يتهمـوه . وسـمح لرؤسـاء الكهنـة أن يحاكموه .. وبهذا الإخلاء جرّبه الشيطان .

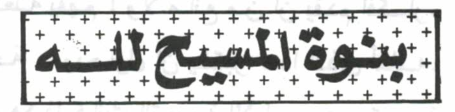
كذلك منح للشيطان مبدأ تكافؤ الفرص .

منحـه الفرصـة أن يجربـه كمـا يشـاء ، وأيضـاً أن يختـار مكـان التجربة ، سواء على جبل التجربة ، أو على جناح الهيكل ، أو على

جبل عالٍ .. كل ذلك لكى لا يقول الشيطان: لو أننى مُنحت الفرصة لأجربه، لأمكننى أن أنتصر عليه ...

جرّبه وهو يعرف قوته ، ولا يعرف فيه أية نقطة ضعف .

ولكن الشيطان شغوف بتجربة الأقوياء .



المسألة التى كانت تحيرّ الشيطان هى بنوة المسيح لله.

العبارة التى سمعها وقت العماد (مت٣: ١٧) . والتى سمعها أيضاً وقت البشارة بميلاده .

وذلك حينما قال الملاك للعذراء "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلىّ تظللك . لذلك فالقدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥) .

ولكن بشرى الميلاد هذه ، غطى عليها أمران :

أولهما : ميلاده فى مزود بقر من أم فقيرة ...

والثانى هربه إلى مصر . وليس من المعقول - فى فكر الشيطان - أن ابن الله يكون فقيراً وأن يهرب !

أما الشهادة له بأنه ابن الله - فى المعمودية - فيغطى عليه أنه جوعان على الجبل ، فهل يُعقل أن يكون ابن الله جوعاناً؟! إنه أمر

يثير التساؤل ...

وهنا ارتبك الشيطان .. وأراد أن يتأكد : لو كان هو ابـن اللـه ، فيجب بذل كل الجهد حتى لا يتم الفداء على يديه. ولو كان ابن الله، فكيف يجوع : ولماذا لا يبعد الجوع عن نفسه ؟

إذن فليتقدم ويسأل لعله يفهم ! ولا مانع من أن يقدم أفكاره ويرى ماذا تكون النتيجة .. ويحاول أن يختبر هذا الذى أمامه، ليرى ما هو عنصره ، وهكذا كانت التجربة الأولى وهى تجربة الخبز .

يقول الإنجيل عن المسيح أنه جاع أخيراً (لو٤: ٣) "جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرب" (مت٤: ٢، ٣) .

لاشك أنه كان جوعاً من نوع قاسٍ غير عادى ...

طبيعى أن فترة الأربعين يوماً ، كانت كلها جوعاً . ولكن الجوع فى نهايتها، كان قد وصل إلى قمته، وصار جوعاً لا يُحتمل.

وهذا الجوع يدل على أن ناسوته كان مثلنا قابلاً للجوع . كما يدل أيضاً على أن لاهوته لم يمنع الجوع عن ناسوته . ذلك لأن السيد المسيح كان قد اتخذ مبدأ ثبت عليه ، وهو أنه :

قرر أن لا يستخدم لاهوته لأجل راحة ناسوته .

فلاهوته لا يمنع عن ناسوته التعب ولا الألم، ولا الجوع ولا

العطش .. وإلا فإن التجسد يكون صورياً أو شكلياً ، حاشا . لذلك فهو على الصليب أيضاً قال "أنا عطشان" (يو ١٩: ٢٨) .

وهنا على الجبل قيل إنه جاع .. نلاحظ إنه في صوم القديس بطرس الرسول قيل عنه إنه "جاع كثيراً واشتهى أن يأكل" (أع ١٠: ١٠) . أما بالنسبة إلى السيد المسيح ، فلم يُذكر أنه اشتهى أن يأكل.. وهنا تقدم له الشيطان وقال له : إن كنت ابن الله، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً (مت ٤: ٣) .

" **إن كنت .. " عبارة تحمل الشك .**

إما أنه – أي الشيطان – في شك من هذه البنوة ، وهذا هو المعنى الأكثر إحتمالاً، وإما أنه يريد أن يقدم هذا الشك لسامعه .

أو هو يقدم الشك لهذا الصائم ، لكي يعالج شكاً له هو – أي الشيطان – في قلبه :

أين محبة الآب ، حتى يترك الابن في جوع ، على الجبل وحده، وأين سلطان الابن؟ ألا يستطيع أن يحول الحجارة إلى خبز ويأكل؟.. إن الشك والتشكيك هما من طبائع الشيطان .

وضع هذا بالمثل قديماً أمام آدم وحواء .. لو كان الله يحبكما ، فلماذا يمنعكما عن المعرفة ؟! "هل حقاً قال لكما الله .. " (تك ٣: ١). ومن جهة الموت، "لن تموتا" . كله أسلوب تشكيك. إن الشك

عكس الإيمان . والشيطان ضد الإيمان .

وهنا يسأل عن بنوة المسيح لله . ويقيناً إنـه لا يقصد البنوة العامة التى لجميع المؤمنين .. بل البنوة التى تستطيع أن تحول الحجارة إلى خبز ..

أى البنوة التى لها القدرة على الخلق ، وليست البنوة التـى نقول بها جميعاً "أبانا الذى فى السموات" .

ولا هى البنوة التى قال عنها الوحـى الإلهـى عمـا قبل الطوفـان "رأى أولاد الله بنات الناس أنهن حسنات" (تك٦: ٢) .

ولا هى البنوة التى قال عنها أشعياء النبـى "فـإنك أنـت أبونـا .. أنت يارب أبونا" (أش٦٣: ١٦) .

ولا هى البنوة التى قال فيها القديس يوحنا الحبيب فيما بعـد عـن المسيح "وأما كـل الذيـن قبلـوه، فأعطـاهم سـلطاناً أن يصـيروا أولاد الله، أى المؤمنون باسمه" (يو١: ١٢) . وأيضاً "انظـروا أيـة محبـة أعطانا الآب : أن نُدعى أولاد الله" (١يو٣: ١) .

إنما هى البنوة القادرة على كل شئ، التـى تستطيع أن تصنـع المعجـزات بمجـرد أن تـأمر . وهكـذا قـال للمسيح "قل أن تصـير الحجارة خبزاً" .

لـم يقـل لـه : إن كنـت إبـن اللـه، يمكنـك أن تصلــى إلــى أبيـك

السماوى، فيحول لك الحجارة إلى خبز. وإنما قال له : قل أن تصير الحجارة خبزاً ..

إذن فهو يسأل عن طبيعة المسيح ما هى ؟

ونفس السؤال قدمه إلى المسيح فيما بعد ، على لسان البعض "إن كنت إبن الله، انزل من على الصليب" (مت٢٦: ٤٠) .

إن البنوة والصليب معاً ، هما اللذان يزعجان الشيطان فى اجتماعهما ، لأنهما يحطمان دولته وكل تعبه . سأل أحدهما فى بداية استعداد المسيح لخدمته على الأرض . وسأل الآخر للمسيح، وهو فى طريقه إلى عبارة "قد أكمل" (يو١٩: ٣٠) .

هنا على جبل التجربة ، قال للسيد المسيح - وهو صائم وجائع: إن كنت ابن الله، قل أن تصير الحجارة خبزاً " .

وكان المسيح قادراً على ذلك ، ولكنه لم يفعل .

تجربة الخبز (ب)

قال الشيطان للسيد المسيح "إن كنت إبن الله ، قل أن تصير الحجارة خبزاً" (مت٤: ٣) .

وهنا قدّم الشيطان مفهوماً للبنوة التى ترضى ذاتها باستخدام حقوقها وسلطتها ...



إنه لا يفهم البنوة التى تخلى ذاتها ، وتأخذ شكل العبد ، وتطيع حتى الموت ، موت الصليب (فى٢: ٧، ٨) . لا يفهم البنوة التى تبذل ، بل التى تأخذ، ولا تقبل أن تجوع . تماماً مثل تفكير الإبن الكبير، فى خطيئته إذ قال لأبيه "ها أنا أخدمك سنين هذا عددها .. وجدى لم تعطنى قط، لأفرح مع أصدقائى" (لو١٥: ٢٩) .

ولكن السيد المسيح لم يطلب لنفسه حقوقاً كابن ! ..

وهنا أعجب من الذين يقولون لكل مؤمن مبتدئ يجب أن تطالب

بحقوقك كابن ووريث وشريك مع المسيح !!

من نحن الذين نطالب لأنفسنا بحقوق ، بينما الابن الوحيد للآب السماوى المساوى له فى الجوهر ، رفض أن يستخدم حقوقه الطبيعية كابن، أو رفض استخدام طبيعته كابن ، أو أقنومه كابن .

حقاً ، كان جاداً فى إخلائه لذاته .

كان بإمكانه أن يحول الحجارة إلى خبز ، بل أن يقدم الخبز، حتى بدون حجارة ، كما فى معجزة اشباع الجموع .

استطاع أن يخلق الخبز ، الذى أشبع خمسة آلاف والذى امتلأت بما فضل منه إثنتا عشرة قفة (مر٦: ٣٥- ٤٤) . وفعل نفس الوضع فى معجزة إشباع الجموع الأخرى من السبع خبزات (مر٨: ٢- ٩) .

فعل ذلك من أجل غيره ، وليس من أجل نفسه .

وكان الدافع هو الإشفاق . إذ قال لتلاميذه فى ذلك " إنى أشفق على الجمع ، لأن لهم الآن ثلاثة أيام يمكثون معى وليس لهم ما يأكلون . وإن صرفتهم إلى بيوتهم صائمين ، يخورون فى الطريق" (مر٨: ٢، ٣) .

إذن بإمكانه أن يوجد الخبز ، ولو يخلقه خلقاً . ولكنه لم يفعل. فلماذا ؟

أولاً : لأنه كما قلنا ، كان قد وضع مبدأ لنفسه أنه لا يستخدم لاهوته لأجل راحة ناسوته .

ثانياً : لأنه لا يليق به أن يسمع لمشورة الشيطان، كما فعلت حواء وآدم من قبل . وهذا يذكرنا بقصة قيلت عن القديس أنطونيوس الكبير : إن الشيطان أيقظه ذات ليلة من النوم لكى يصلى . ولكن القديس رفض مشورة الشيطان ، حتى لو اتخذت اسلوباً روحياً . وقال له "إنى أصلى متى أريد . ولكن منك أنت لا أسمع ... " .

ثالثاً : إن الشيطان لا يمكن أن تكون له نية سليمة فى أية مشورة يقدمها ..!

فهو لم يقل ذلك إشفاقاً على السيد من الجوع . وإنما كان يريد أولاً أن يعرف طبيعته هل هو ابن الله حقاً؟ لا ليؤمن به، بل ليحارب الإيمان به ، ويحارب رسالته فى الفداء .. كما كان يريد أن يتدرج فى التجربة . وكيف ؟



استخدام الخبز لنشر رسالته

يمكن بتحويل الحجارة إلى خبز ، أن يتبعه الناس كمصلح إجتماعى يشبعهم ، وليس كمخلص يفديهم .

وكأنه يقول للسيد : إنك لا تريد أن تستخدم الخبز لأجل نفسك ، لتشبع من جوع . حسناً تفعل . ولكن ما أسهل أن تستخدم الخبز لأجل نشر ملكوت الله . وهذا حل سهل. فقل أن تصير الحجارة خبزاً .

هوذا العالم كله يحتاج إلى الخبز .. العالم كله يجرى وراء – لقمة العيش – فلو حولت الحجارة إلى خبز، سوف تصير مصلحاً إجتماعياً، تكفى إحتياجات الناس المادية .

وإذ تشبع الناس ، يلتفون حولك ، وبهذا يمكنك أن تؤدى رسالتك .. وتسهل مهمتك .

ولكن السيد المسيح رفض هذا الطريق السهل .. إنه جاء يدعو إلى مملكة روحية، طريقها أيضاً طريق روحى، ليس هو طريق الخبز المادى وإنما كل كلمة تخرج من فم الله ...

إن السيد المسيح لم يأتِ لكى تكون بطون الناس ملآنة ، إنما لكى تكون قلوبهم نقية ، وأرواحهم ملتصقة بالله .

إنه يعرف حاجة الناس إلى الخبز ويعطيهم إياه ، لكنه لا يجعله هدفاً لهم . بل يقول لهم : اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره .. ثم هذه كلها تزدادونها " (مت٦: ٣٣) .

لهذا قال للناس "لا تهتموا بما تأكلون وبما تشربون .. الحياة

أفضل من الطعام " (مت٦: ٢٥) . " يا قليلى الإيمان .. أبوكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها" (مت٦: ٣٢) .

وقال لهم أيضاً " اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى الذى للحياة الأبدية" (يو٦: ٢٧) .

السيد المسيح لا يريد أن يتبعه الناس من أجل الخبز ، إنما حباً للملكوت .. وكانت مشورة الشيطان هى التركيز على الخبز !

وإن أحبوا الملكوت ، وجاعوا من أجله وعطشوا ، حينئذ سيمنحهم كل احتياجهم المادى ، دون أن يطلبوا ، كذلك فإن الخبز ، الذى هو رمز للمادة لا يجوز أن يكون هدفاً لحياتهم .. هنا نتذكر أمثلة خاطئة .

إن الشيطان لا يقترح أبداً للخير . ولا يجوز السماع له ، مهما بدا اقتراحه خيراً .

ولكنه هنا ، كان يقصد ما هو أخطر . فماذا يقصد ؟

لاهوته لصالح ناسوته

إن استخدم السيد المسيح لاهوته من أجل التخلص من ألم الجوع ، فالتدرج الذى يريده الشيطان هو أن يتخلص المسيح بلاهوته من كل ألم، بما فى ذلك آلام الصلب . ويتحول التجسد

والفداء إلى شكليات ...

أما السيد المسيح فاستطاع أن يبت فى الموضوع من أوله . ولم يستخدم لاهوته مطلقاً لأجل راحة ناسوته . لا على جبل التجربة، ولا على الصليب، ولا كل فترة تجسده على الأرض . وهكذا جاع وعطش وتعب ونام . وتصبب عرقه كقطرات دم (لو٢٢: ٤٤) ...

إذن لم تكن التجربة هى مجرد استخدام لاهوته لمنع الجوع ، إنما لمنع الفداء كلية . لأنه لو لم يتألم لأجلنا، ما كان فداء .. بل لتحول الأمر إلى خدعة كبرى

لكن السيد المسيح كما جاع على جبل التجربة، كذلك فإنه على الصليب قال أنا عطشان (يو١٩: ٢٨) .

كان ناسوته يدفع الثمن كله .. وكانت نار العدل الإلهى تشتعل فى المحرقة ، حتى تحولها إلى رماد (لا٦: ١٠) . من أجل هذا قال: "إلهى إلهى، لماذا تركتنى" (مت٢٧: ٤٦) . أى أن لاهوته تركه للألم ، لم يتدخل لمنع الألم عنه ، ليتم الفداء . إن السيد المسيح يمكن أن يستخدم لاهوته من أجل راحة الناس، وليس من أجل راحته هو ...

وهكذا كان يشفى المرضى ، ويطهر البرص ، ويفتح أعين العميان، ويخرج الشياطين من المصروعين .. يجول يصنع خيراً..

ولكن لا يستخدم المعجزة ليشبع جسده ...

✠ ✠ ✠

لقد رفض السيد المسيح استخدام معجزة الخبز لأجل نفسه . ورفض أيضاً استخدام الخبز للكرازة ونشر الإيمان . فهذا هبوط بمستوى وسائل الإيمان . فالإيمان يتعلق بالروح والقلب والفكر . وليست وسيلته الجسد والطعام .

إنه يمكن أن يقدم الخبز بدافع الحب والإشفاق عليهم كجياع . ولكن ليس ثمناً للإيمان !

كان الشيطان يهدف فى إستخدام الخبز لنشر الإيمان ، إنما يغرى بسهولة الخدمة .

إنه فيما يتحدث عن الخبز ، إنما يريد أن يُلبس المادة ثوباً روحياً من حيث أهميتها فى جذب الناس ونشر الملكوت . فتصبح الخدمة سهلة وأكثر قبولاً ! وكأنه يقول "لو ملأتم الدنيا خبزاً ، لأحبكم الناس وساروا وراءكم ، فينتشر الملكوت، ويقبل الناس الإيمان .

ولكن هذا الأمر كانت له مساوئه بلاشك . فإن الذين يقبلون إلى الإيمان عن طريق الخبز ، لاشك أنهم سيتركون الإيمان إذا انقطع الخبز عنهم !

كذلك فإن السيد رفض فكرة سهولة الخدمة ..

فالذى يتعب فى نشر الملكوت ، إنما يدل على محبته للملكوت وبذله من أجله ، وسوف يكافئه الرب على بذله وجهده "وكل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨) . ولابد أن يحمل كل إنسان صليبه فى طريق الملكوت (مت١٠: ٣٨) (مت١٦: ٢٤) .

✠ ✠ ✠

أما من جهة رد المسيح على تجربة الخبز ، فهى أنه قال للشيطان :

مكتوب : ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت٤: ٤) .

إنه لم يرد على الشيطان رداً مباشراً .

لم يرد على عبارة "لو كنت إبن الله" . لم يقل للشيطان : ما هدفك من السؤال ؟ لماذا تسأل ؟ هل أنت فى شك؟ ولماذا تحتاج إلى معجزة بينما أنت قد رأيت المعجزة وقت العماد وسمعت شهادة الآب وشهادة يوحنا ؟

وبالمثل ، لم يرد أيضاً على اقتراح تحويل الحجارة إلى خبز .

إن الشيطان يريد أن ينقله بالحديث عن الخبز ، إلى ميدانه المادى . فتجاهل المسيح هذا ، ونقله إلى الميدان الروحى .

نقله إلى الطعام الروحى الذى تحيا به الأرواح ، فقال له

"مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله".

إن الطبيعة البشرية ليست مجرد جسد ، بل هى جسد ، وأيضاً روح. فإن كان الجسد يحتاج إلى الخبز ، فالروح تحتاج فى فدائها إلى كل كلمة تخرج من فم الله ... وهنا أيضاً وضع الرب أمامنا غذاء للروح هو الكتاب المقدس .

أما بالنسبة إلى الشيطان ، فكأن الرب يوبخه بطريقة هادئة وهى: لماذا تركز على الجسد والخبز ، وتنسى الروح ، بينما أنت روح ؟!

ثم هل يليق بنا أن نتكلم عن الخبز وعن طعام الجسد ، بعد أربعين يوماً من الصوم والإنفراد مع الآب ؟!

أين هى ثمرة الصوم إذن ؟! أتريده صوماً بلا ثمر؟! أم تريد أن تعكر روحياته بالحديث عن الخبز !! فلنحول الحديث إذن إلى الروحيات ، لأن الحديث عن الخبز والجسد لا مجال له معى .

موضوع الخبز والمادة والجسد ، سدّ المسيح أبوابه أمام الشيطان . ولم يفتح له مجالاً للحديث فيه .

لم يشأ السيد المسيح أن ينزل إلى هذا المستوى المادى . وهكذا أسكت الشيطان ، إذ أوقفه أمام مستوى روحى . معطياً لنا درساً أن

نسد الأبواب أمام الشيطان فى كل موضوع غير روحى يقترحه . إننا لسنا ملزمين أن نتناقش معه فى أى موضوع يعرضه . بل ينبغى أن نسكته . فلا يستمر أو يتمادى فى موضوع مادى ، بأن نحول كلامه أو أفكاره إلى موضوع روحى .

✠ ✠ ✠

أما الآية التى قالها السيد المسيح ، فقد اقتبسها من سفر التثنية (تث٨: ٣) . وتحمل دروساً روحية لنا :

١ - نتذكر الآباء والأمهات الذين يكون كل اهتمامهم لطعام أبنائهم وتربية أجسادهم ، دون أن يهتموا مطلقاً بأرواحهم .

كما لو كانوا قد أنجبوا أجساداً فقط بدون أرواح ، شاعرين أن واجبهم الأساسى هو إطعام هؤلاء الأولاد .. وفى سبيل ذلك قد يمنعونهم عن الصوم خوفاً على صحتهم الجسدية ..

٢ - مثال آخر : مكاتب الخدمة الإجتماعية فى الكنائس ، التى تبذل كل جهدها فى إطعام الفقراء ، دون أى إهتمام بأرواحهم ...

٣ - مثال ثالث : وهو أنه بسبب الإهتمام بالخبز يكسرون وصايا الله. قد لا يدفعون العشور ولا البكور ولا كل حقوق الله فى أموالهم ، لأنهم محتاجون إلى هذه النقود من أجل لقمة العيش .

وقد يشغلون أنفسهم مشغولية تأخذ كل الوقت من أجل الحصول على أجور أضافية لازمة للقمة العيش .. وهكذا يمنعون أنفسهم عن

الكنيسة والإجتماعات والقراءات والتأمل والخلوة وكل الوسائل الروحية فى سبيل الحصول على المال .

كل هؤلاء يقول لهم السيد المسيح ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان .

✠ ✠ ✠

وهنا يضع أمامنا السيد المسيح أسلوباً روحياً فى محاربة الشيطان وهو :

الرد على المحاربة بآية :

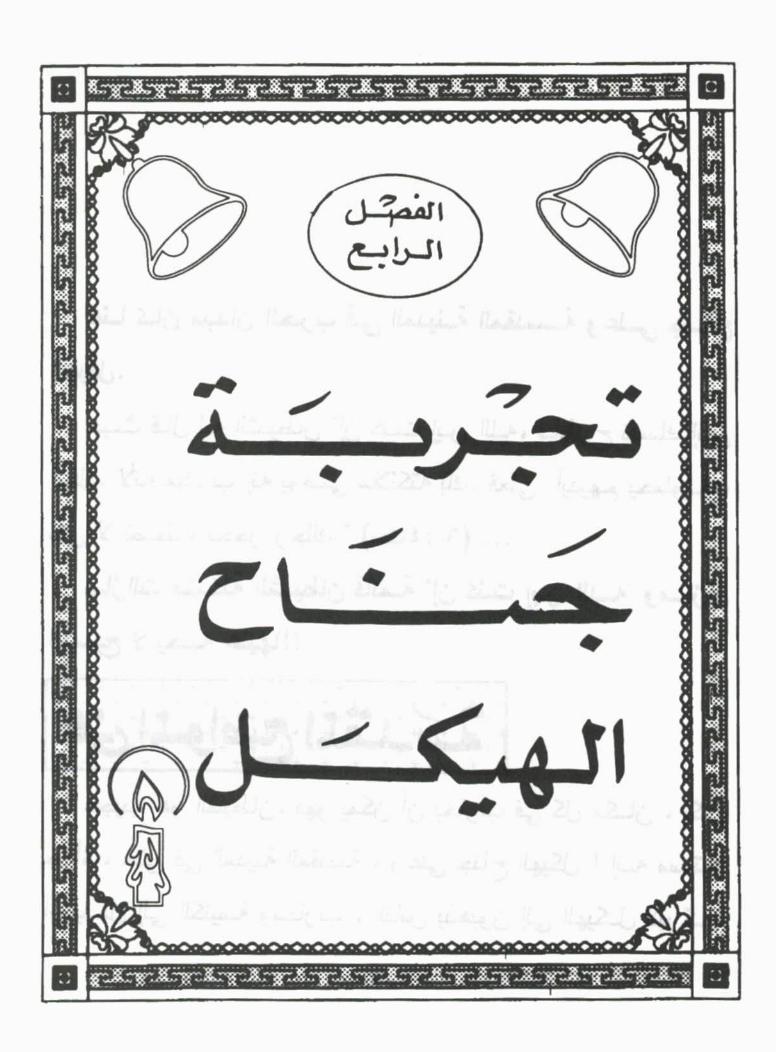
جميل أن ترد على الشيطان بآيات من الكتاب ، لأن "كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين " (عب٤: ١٢) .

لذلك إن كنت محارباً بالغضب ، اجمع كل الآيات التى هى ضد الغضب وضعها فى ذهنك ، واحفظها ، ورددها كلما حوربت ..

وإن كنت محارباً بأخطاء اللسان افعل هكذا أيضاً . وكذلك فى كل حروبك الروحية .

المسيح رد على الشيطان بآية فأسكته .

لذلك انتقل الشيطان إلى تجربة أخرى محاولاً أن يستخدم الآيات أيضاً .


الفصل
الرابع
تجربة
جناح
الهيكل
٥

هنـا كـان ميدان الحـرب فـى المدينـة المقدســة وعلـى جنــاح الهيكل.

حيث قال لـه الشيطان "إن كنت إبـن اللـه، فاطرح نفسك إلـى أسفل. لأنه مكتوب إنه يوصى ملائكته بك. فعلى أيديهم يحملونـك، لكى لا تصطدم بحجر رجلك " (مت٤: ٦) ...

مـازالت مشكلة الشيطان قائمـة "إن كنت إبن اللــه" ومـازال المسيح لا يجيبه عليها!!



عجيب هو الشيطان، فهو يمكن أن يحارب فى كل مكـان ، بكل جرأة ، حتى فى المدينة المقدسة ، وعلى جناح الهيكل ! إنـه مستعد أن يدخل إلى الكنيسة ويحارب . الناس يذهبون إلى الهيكـل للبركـة،

أما هو فيذهب إليه ليغرى ويعثر ...

لذلك كن حريصاً منه ، حتى فى المواضع المقدسة ، وحتى فى الأوقات المقدسة كالصوم .

إنه يهوى جداً أن يدنس كل ما هو مقدس . وله جرأة عجيبة، بل له استهانة عجيبة بالمقدسات . وهو مستعد أن يجرب فى وقت الصلاة، وفى وقت الخدمة ، وفى وقت الخلوة المقدسة هى شهوته التى يريد أن يلتهمها ويحطمها .

لقد حارب آدم وحواء ، وهما فى الفردوس وحارب اللص الشمال وهو إلى جوار المسيح . كما حارب إمرأة لوط ويدها فى يد الملاك .

وقدم تجربته ضد أيوب ، وهو واقف أمام الله. وكانت الخطايا التى أسقط فيها أولاد عالى الكاهن فى مكان الذبائح ، وعند باب خيمة الإجتماع (اصم٢: ١٣، ٢٢) .



وبالنسبة إلى السيد المسيح ، شاء الشيطان أن تكون تجربته هذه على جناح الهيكل . فماذا كانت صورة التجربة ؟ شرحها كالآتى :

إلق نفسك من جناح الهيكل ، فتحملك الملائكة على أيديهم.

وكل الذين فى الهيكل يرونَ هذا المنظر العجيب، فتبهرهم ويقولون: هذا حقاً هو المسيا النازل من السماء محمولاً على أيدى الملائكة. وهكذا يؤمنون وتنشر ملكوتك بسهولة !!

هذه هى الوسيلة السهلة التى تحتاج إليها. فهل تظن أن الناس يؤمنون بمولود فى مزود بقر؟ أو بمصلوب على خشبة؟! .. إنما أنا أقدم لك الوسيلة السريعة الفعالة ...

فهل ترى نصيحة أخلص من هذه ؟!

وهل ترى نصاحة أذكى من هذه ؟!

ولكن المسيح ما جاء ليبهر الناس بالمعجزات ، إنما جاء لكى يفديهم بدمه ولا يسمح للشيطان أن يبعده عن طريق الفداء ...

إنه لم يأتِ لكى يكسب إعجاب الناس ، إنما لكى ينقى قلوبهم ، ويغرس فيهم الإيمان .

ليس إنبهارهم به هو هدفه ، إنما هدفه هو خلاص نفوسهم .

كما أن إظهار قوته لم يكن هو هدف تجسده ، بل حمل خطاياهم ومحوها بالدم الكريم ..

إن الشيطان يريد بالتجربة أن يبعد المسيح عن طريق الصليب.

ويحوله إلى إعجاب الناس بالمناظر والمعجزات . هذه هى

شهوة الشيطان وشهرة الشيطان فى استخدام المناظر والمجد الباطل والمديح وإعجاب الناس . أما الخلاص ، فيبعد الناس عن التفكير فيه . وأراد إبعاد المسيح عنه أيضاً .

ولو أتيح له على فرض المستحيل أن يقوم برسالة، لكان يعجبه أن يأتى على سحابة ، وفى هيئة ملاك من نور (٢كو ١١: ١٤) .

وفى آخر الزمان سوف يساعد إنسان الخطية ضد المسيح Anti Christ بقوة آيات وعجائب وآيات (٢تس٢: ٩) . لكى يجذب بها إعجاب الناس ، فيؤمنون به ويرتدون عن المسيحية !!

طريق المناظر وإبهار الناس طريق سهل ومبهر، ولكن المسيح قد رفضه .

إنه يعمل المعجزات كعمل محبة لمريض يحتاج إلى الشفاء ، أو مصروع يخرج منه الشيطان الذى يصرعه ، أو إشفاقاً على أم فقدت وحيدها .

ولكنه يرفض المعجزات لأجل الفرجة وحينما طلب منه اليهود هذا الطلب أجابهم "جيل فاسق وشرير يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبى" (مت١٢: ٣٩) . وهكذا رفض المنظر، وأعطاهم صورة عن موته ، ودفنه ثلاثة أيام .



المحاربة بالآيات

كان الشيطان فى تجربة الخبز قد قال للسيد المسيح : "إن كنت ابن الله، فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً" (مت٤: ٣) . إنها عبارة لم يقلها لأى بشرى من قبل. وكان لها عمقها وأهدافها كما شرحنا .

وإذا بالسيد يوقف الشيطان أمام آية من الكتاب . أمام كلمة خرجت من فم الله" (تث٨: ٣) .

وهنا عدل الشيطان أسلوبه : مادمت تجيب بكلام الله ، فسأحاربك أيضاً بكلام الله !!

✠ ✠ ✠

لعنا إذن نلتفت جيداً إلى هذا الخطر فى بعض الحروب الروحية، التى لا يستخدم فيها الشيطان أسلوب أهل العالم ، وإنما قال له "إن كنت ابن الله ، فاطرح نفسك إلى أسفل . لأنه مكتوب إنه يوصى ملائكته بك . فعلى أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك " (مت٤: ٦) .

وهنا تبدو مشكلة بنوة المسيح لله لا تزال تشغل بال الشيطان بالدرجة الأولى ...

تماماً كما قال من قبل " إن كنت ابن الله ، قل أن تصير

الحجارة خبزاً " ، ظل بهذا السؤال يتابع المسيح حتى إلى الصليب "إن كنت ابن الله، انزل من على الصليب" ...

وهنا يقول " إن كنت ابن الله، الق نفسك من على الجبل، فتحملك الملائكة" فماذا كان يقصد بهذه التجربة ؟ لعله يقصد الآتى:

إن ألقى نفسه من الجبل ومات ، أكون قد تخلصت منه ! أما إن حملته الملائكة ، فتكون بنوته لله قد انكشفت .

وحنيئذ أحارب موضوع الفداء الذى جاء من أجله ليخلص به البشر !! وتتعدل الخطة فى محاربته .



استخدام خاطئ للآيات

نلاحظ فى استخدام الشيطان لآيات الكتاب أنه يخادع ، ولا يذكر الآية سليمة .

فهذه الآية لم تذكر مطلقاً فى مناسبة إلقاء الإنسان لنفسه من على الجبل وهذا واضح من نص الآية الذى هو: "لا تدنو ضربة من مسكنك (من خيمتك) لأنه يوصى ملائكته بك، لكى يحفظونك فى كل طرقك . وعلى أيديهم يحملونك، لئلا تصطدم بحجر رجلك" (مز ٩١: ١٠- ١٢) .

وهنا لم يذكر الشيطان الآية فى مناسبتها ، كما حذف أجزاء

منها لكى تتمشى مع التجربة التى يريدها .

فالحديث هنا ليس عن جبل ، يلقى شخص نفسه منه . إنما عن خيمتك وطرقك ، فيما أنت سائر .

ويمكن أن تؤخذ بمعنى روحى بعيد تماماً عن الإلقاء من الجبل.. بل يبدو أن الآية عكس ما يقصده الشيطان .

✠ ✠ ✠

الكتاب لا يقول هنا : إلقِ نفسك من الجبل فتحملك الملائكة ، أى أن تسعى بنفسك إلى التجربة ، وترى ماذا يفعل الله ...

بل يقول الكتاب : إن الله يمنع التجربة من أن تصل إليك . وإن وصلت إلى مسكنك يرسل ملائكته لتحفظك فى سائر طرقك .

إذن الشيطان هنا يستخدم الآيات بطريقة شيطانية .

يطبقها على غير المقصود منها . ويقولها فى غير مناسبتها ويحذف ما يريد لتتفق مع أغراضه ، ويحاول أن يفسرها تفسيراً ملتوياً . خاطئاً .. كمن يقص ألفاظ الآية قصاً ويفصلها تفصيلاً لكى تنطبق على وضع معين ...

✠ ✠ ✠

بهذا الوضع استخدم الشيطان آيات الكتاب ، بتفسير خاطئ ، لنشر البدع والهرطقات .

ما هى الشكوك التى قدمتها الأريوسية ؟ هى مفهوم خاطئ لبضع آيات . بل حتى البدع الحديثة فى جيلنا ، تقدم أيضاً آيات من الكتاب . فلا يخدعك الشيطان بشئ من هذا كله . واسأل عن المفهوم السليم للآية :

✠ ✠ ✠

الشيطان يحفظ آيات من الكتاب ولكنه ليس عالماً من علماء الكتاب !

فالعالم ليس هو الذى يحفظ الآية ، وإنما هو الذى يفهم الآية فهماً سليماً يتمشى مع روح الكتاب كله . وما أجمل قول الرسول فى ذلك وما يشبهه :

"الحرف يقتل ولكن الروح يحيى " (٢كو٣: ٦) .

إن اليهود حينما حاربوا المسيح فى موضوع تقديس السبت، واعتبروه نقاضاً للسبت لأنه يجرى فيه معجزات شفاء وإقامة موتى وفتح أعين عميان .. إنما كانوا يعتمدون على آية من الكتاب تقول "اذكر يوم السبت لتقدسه .. لا تعمل فيه عملاً ما" (خر٢٠: ٨، ١٠) (تث٥: ١٢، ١٤) .

إن المشكلة ليست فى الآية ، وإنما فى المفهوم الخاطئ للآية...

والشيطان مستعد أن يقدم مفاهيم خاطئة كثيرة ، ويستخدم

آيات الكتاب لكى يضل الناس.

أو لكى يثير شكوكاً، أو لكى يعقد الناس ويضعهم أمام مستويات أعلى من مقدرتهم. كأولئك الفريسيين الحرفيين الذين كانوا يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم" (مت٢٣: ٤). وهكذا اغلقوا ملكوت السموات قدام الناس. فلا هم دخلوا ولا جعلوا الداخلين يدخلون (مت٢٣: ١٣).

إن حرفية استخدام آيات الكتاب هى حرب مشهورة من حروب الشياطين.

✠ ✠ ✠

على أن هناك حرباً أخرى خاصة باستخدام الآيات، وهى طريقة أنصاف الحقائق، حيث يستخدم المحارب آية واحدة ويترك باقى الآيات المتعلقة بالموضوع، التى لا يتكامل المعنى بدونها.

ولقد حدثتكم من قبل عن خطورة استخدام الآية الواحدة فى مقدمة كتاب الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى. وذلك لأن الكتاب ليس هو مجرد آية إنما هو كتاب...

فكلما تقدم لك آية لإثبات عقيدة أو مفهوم روحى.. فاستخدم

نفس جواب المسيح : مكتوب أيضاً :



استخدم هذا الأسلوب ، سواء في الأمور الروحية ، أو في الأمور اللاهوتية والعقيدية أيضاً . كما قال لنا الرسول "بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات "(١كو٢: ١٣) .

✠ ✠ ✠

١ – فإن أراد العدو إخراجك عن وداعتك ، وقال لك مكتوب : عظ، وبخ، انتهر (٢تى٤: ٢) .

قل له : إن القديس بولس الرسول قد قال هذه العبارة للقديس تيموثاوس الأسقف، لرجل من رجال الكهنوت والرعاية مسئول عن هداية الناس . ومن أنا حتى أضع نفسي موضع القديس تيموثاوس؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى :

مكتوب أيضاً : من هو حكيم وعالم بينكم ، فلير أعماله بالتصرف الحسن في وداعة والحكمة (يع٣: ١٣) .

ووداعة الحكمة نستخدمها في هداية الناس بدلاً من التوبيخ والإنتهار الخاصين بأصحاب السلطان . ولذلك مكتوب أيضاً " أيها الأخوة إن انسبق إنسان فأخذ في زلة ، فاصلحوا أنتم الروحانيين

مثل هذا بروح الوداعة ، ناظراً إلى نفسك لئـلا تجـرب أنـت أيضـاً" (غل٦: ١) .

إذن ليس التوبيخ أو الإنتهـار هـو الطريـق الوحيـد لإصـلاح الآخريـن، إنمـا هنـاك روح الوداعـة ، ووداعـة الحكمـة كمـا هـو مكتوب. ولننظر إلى بولس الرسـول الـذى قـال : عـظ وبـخ انتهـر ، لنرى كيف كان هو نفسه ينتهر .

مكتوب أيضاً عن القديس بولس أنه قال "لذلك اسهروا، متذكرين أننى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كـل أحـد" (أع٢٠: ٣١) .

هذه هى الطريقة التى كان ينذر بها والتى كان بها يعظ ويوبخ.. "بدمـوع" وهـذه الدمـوع كـانت تشـعر مـن يسـمعه بمقـدار محبتـه وحرصه على خلاص نفس من يوبخه . إذن لم يكن يوبخ بقسوة أو بعنف أو بأسلوب جارح أو شديد .

✠ ✠ ✠

بهذا المكتوب أيضاً ، يمكننا أن نفهم المعنى الروحـى "قـارنين الروحيات بالروحيات" .

٢- وإن قال لك العدو: مكتوب أن موسى النبى لما أبصر العجل والرقص ، حمى غضبه وطرح لوحى الشريعة من يديـه وكسـرهما فى أسفل الجبل (خر٣٢: ١٩). فلماذا لا تغضب مثله للحق؟

عليك أن تجيب بأن موسى كان نبى الله ، وكان له سلطان أن يغضب على الشعب ليصلحه . كما أن الأمر كان خطيراً جداً، وهو أن الشعب كله صنع له عجلاً ذهبياً ليعبده قائلاً : "هذه هى آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر " (خر٣٢: ٨) . حتى أن الرب نفسه غضب على الشعب وأراد إفناءه . هذا من جهة . ومن جهة أخرى نذكر حقيقة هامة وهى :

مكتوب أيضاً عن موسى النبى "كان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد١٢: ٣) .

وبلغ من حلمه فى هذا الحادث بالذات أنه وقف شفيعاً فى هذا الشعب أمام الله ، حتى لا يغضب الله عليهم ويفنيهم . كما حدث أيضاً وتشفع فى مريم أخته التى تقولت عليه ووبخها الله وعاقبها (عد١٢: ٩، ١٣) . وهذا من جهة موسى النبى ، والأمثلة كثيرة ولكن من جهة الغضب عموماً .

مكتوب أيضاً : " لا تسرع بروحك إلى الغضب . لأن الغضب يستقر فى حضن الجهال" (جا٧: ٩) .

ومكتوب أيضاً "ليكن كل إنسان .. مبطئاً فى الغضب ، لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يع١: ١٩، ٢٠) . ومكتوب أيضاً "لينزع منكم كل مرارة وسخط وغضب" (أف٤: ٣١) .

ومكتوب "لا تستصحب غضوباً ، ومع صاحب سخط لا تجئ" (أم٢٢: ٢٤) . وما أكثر المكتوب عن الغضب .

✠ ✠ ✠

٣ - كذلك إن أتاك فكر أن تقيم نفسك معلماً لآخرين لأنه مكتوب "ويل لى إن كنت لا أبشر" (١كو٩: ١٦) .

قل : أنا تلميذ أحتاج أن أتعلم ، وليس أن أقوم بتعليم غيرى .

أما هذه الآية فقد قالها بولس الرسول ، الذى اختاره الرب نفسه لكى يبشر ، لذلك قال : "قد استؤمنت على وكالة" (١كو٩: ١٧). أما أنا فيمكننى أن أقول ذلك لو أننى أيضاً استؤمنت على وكالة !

لأنه مكتوب أيضاً : "لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتى، عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم" (يع٣: ١) .

وعلل الرسول ذلك بقوله "لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا" (يع٣: ٢) . ومكتوب أيضاً "المعلم ففى التعليم" (رو١٢: ٧) . فإن أقامتنى الكنيسة للتعليم ، فهذا واجب لابد أن أؤديه . وحينئذ "ويل لى إن كنت لا أبشر" .

✠ ✠ ✠

٤ - وهكذا إن جاء العدو فى مجال الشهادة للرب . وقال لى أصمت ولا تفعل لأنه مكتوب : "ليصمت الحكيم فى ذلك الزمان، لأن الأيام شريرة" . (عا٥: ١٣) .

قل لنفسك : ليس هذا هو الوقت الذي يكون فيه الصمت فضيلة، لأنه مكتوب أيضاً "لكل أمر تحت السموات وقت.. للسكوت وقت وللكلام وقت " (جا٣: ١، ٧) .

ومكتوب أيضاً "لا تخف. بل تكلم ولا تسكت" (أع١٨: ٩) ..

إذن الأمر يحتاج إلى حكمة وإلى أفراز ، لنفهم ماذا يعلمنا الكتاب، وما هو مفهوم الآيات ، وجميل جداً ما قيل عن عمل الرب فى الرسل "حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب" (لو٢٤: ٤٥) .

✠ ✠ ✠

٥ - استخدم نفس الأسلوب فى العقيدة أيضاً . إن قرأت آية، قل مكتوب أيضاً ...

فإن قيل لك : مكتوب "آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك " (أع١٦: ٣١) ...

قل : مكتوب أيضاً "من آمن واعتمد خلص " (مر١٦: ١٦) . ومكتوب أيضاً "إيمان بدون أعمال ميت" (يع٢: ٢٦، ١٧) .



نعود إلى تكملة تأملاتنا فى التجربة على الجبل، فنقول إن الرب أجاب الشيطان : مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك (مت٤: ٧) .

وهذه الآية مأخوذة من (تث٦: ١٦) .

الشيطان يريد أن السيد المسيح يجرب محبة الآب، فيرى هل إذا ألقى نفسه من على الجبل، يرسل ملائكته ليحملوه .

فأجابه : مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك ...

نلاحظ هنا أن السيد المسيح لم يصحح للشيطان منطوقه الخاطئ للآية ... فالشيطان يعرف تماماً أن استخدامه غير سليم لكلام الرب. إنما انتقل به إلى الإيجابيات، كما حدث فى التجربة السابقة، إذ لم يناقشه فى موضوع الخبز ، ولا فى عبارة "إن كنت ابن الله" كما هنا أيضاً . وأنما رد بالتعليم الإيجابى السليم: لا تجرب الرب إلهك ...

✠ ✠ ✠

إن محبة الله ليست موضع شك ولا موضع إثبات ، لكى نجربه فى أن يثبتها لنا بالعطايا والمنح ...

إننا واثقون من محبة الله ، حتى إن كنا فى عمق التجربة والضيقة . لا نجربه بأن يرسل ملاكاً وينقذنا ، أو يصنع معجزة وينقذنا . حتى لو استمرت التجربة أو التعب ، فلا نشك أيضاً فى محبة الله ، ولا نجربه بصنع العجائب من أجلنا لإثبات عنايته بنا !



أمثلة فى تجربتنا لله

١ - فى حالة مرض : قد يرفض إنسان أخذ الدواء أو استشارة طبيب، ويقول : أنا تارك الأمر لله ليشفينى بدون واسطة .

كلا . لا تجرب الرب إلهك . فهو نفسه قال : "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى" (مت٩: ١٢) .

ومع أن هذه الآية قيلت فى معنى روحى، إلا أنها تعنى ضمناً موافقة الرب على احتياج المريض إلى طبيب .

ونلاحظ أن بولس الرسول وصف لتلميذه تيموثاوس علاجاً (١تى٥: ٢٣) . ولم يكتف بمجرد الصلاة التى ذكرها الرسول (يع٥: ١٤) .

✠ ✠ ✠

٢ - مثال آخر : تلميذ لا يذاكر ! ويطلب من الله منحه النجاح بمعجزة . وإذا حدث أن الإمتحان لم يأتِ من الصفحات القليلة التى ذاكرها ، يشك فى محبة الله وفى معونته ! بينما الله دعانا أن نكون أمناء فى عملنا . ومن ذلك الأمانة فى المذاكرة .

✠ ✠ ✠

٣ - مثال ثالث : إنسان يذهب إلى مكان معثر ، ويقول : الله

قادر أن ينجينى من السقوط !!

ويضرب أمثلة بالقديس ابراهيم الذى نجا مريم ، والقديس يوحنا القصير الذى أنقذ بائيسة .. وينسى أنه ليس فى مستوى أولئك القديسين. كما ينسى قول الكتاب "طوبى للرجل الذى لا يقف فى طريق الخطاة، وفى مجلس المستهزئين لا يجلس " (مز١) .

لا تدخل نفسك فى تجربة ، وتطلب من الرب أن ينقذك منها . ولكن إن دهمتك التجارب بدون خطأ ، فالله ينقذك .

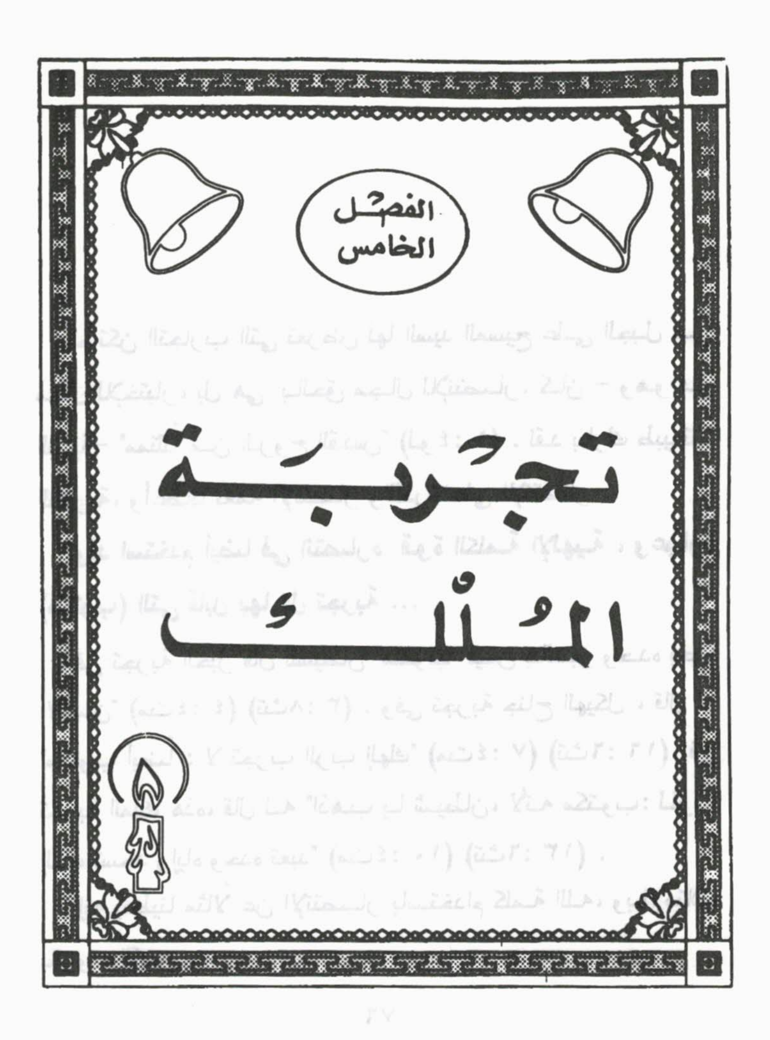
✠ ✠ ✠

٤ – مثال رابع : قد يجرب الرب الذين يحددون له علامات معينة !!

إن كان هذا الأمر قد حدث مع جدعون فى ظروف معينة قاسية (قض٦) فلا تطلب أن يحدث ذلك معك أيضاً ، ولا تجعلها قاعدة .

✠ ✠ ✠

٥ – مثال خامس حينما تصر أن ينفذ لك الله طلباتك بحرفيتها وبسرعة ، وإلا تشك فى محبته !!


الفصل
الخامس
تجربة
الملك

لم تكن التجارب التى تعرض لها السيد المسيح على الجبل هى مجال للإختبار، بل هى بالحق مجال للإنتصار. كان - وهو فى البرية- "ممتلئاً من الروح القدس" (لو٤: ١) . لقد بارك طبيعتنا البشرية، وأعطانا نعمة الإنتصار والقدرة على الإنتصار .

وقد استخدم أيضاً فى انتصاره قوة الكلمة الإلهية ، وعبارة (مكتوب) التى قابل بها كل تجربة ...

فى تجربة الخبز قال للشيطان "مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان" (مت٤: ٤) (تث٨: ٣) . وفى تجربة جناح الهيكل ، قال له "مكتوب أيضاً : لا تجرب الرب إلهك" (مت٤: ٧) (تث٦: ١٦). فى تجربة الملك هذه، قال له "اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (مت٤: ١٠) (تث٦: ١٣) .

إنه يعطينا مثالاً عن الإنتصار باستخدام كلمة الله، وبالإمتلاء بالروح القدس .

ولكن ماذا كانت تجربة الملك ؟

يقول الكتاب إن الشيطان أخذ السيد إلى جبل عال، وأراه جميع ممالك الأرض ومجدها، وقال له " لك أعطى هذه كلها إن خررت وسجدت لى" فانتهره الرب ...

ولعله يقول له : إنك من سبط يهوذا، سبط الملك . فماذا يمنع من استخدام الملك فى أن تقوم برسالتك على خير وجه؟ وهى وسيلة سهلة ...

تستطيع أن تصدر القوانين والأنظمة التى تغيّر بها الكون، وتلغى بها الوثنية ، وتمنع الرذائل، وتنشر الخير، وتبنى الملكوت.. بسلطة الملك ..

ولكن الرب رفض هذا . رفض أن يسير الناس فى طريق الخير، عن طريق السلطة والأمر والقانون. إنه يريد أن يحبوا الله من أعماق قلوبهم. وأن يحبوا الخير ويفعلوه عن رضى، وليسوا مرغمين على ذلك بالقانون .

إنه لا يريد أن يكون الإنسان مسيراً ولو فى طريق الخير ، إنما يريد له نقاوة القلب التى بها يفعل الخير بتلقائية الحب. فالسلطة قد تؤدى إلى مظهرية نقية خارجية . وقد يكون القلب غير ذلك تماماً، مملوءاً بالشهوات والخطية .

طريق النقاوة الداخلية طريق طويل وصعب ولكنه أكثر ثباتاً من الطاعة الخارجية .

إن الرب يريد أن ينبع الخير من داخل قلب الإنسان ، وليس عن طاعة وقهر . بحيث يكون الخير بالنسبة إليه عملاً من أعمال الحب، بكامل إرادته، وليس ضرورة وجبراً ، واضطراراً وارغاماً.

وهكذا رفض السيد تجربة الملك ، ليس فقط على الجبل ، بل فى مرات كثيرة أخرى .

فبعد معجزة إشباع الجموع ، يقول الكتاب "ولما رأى يسوع أنهم مهتمون بأن يأتوا ليختطفوه ويجعلوه ملكاً ، انصرف إلى الجبل وحده" (يو٦: ١٥) . وتكرر الأمر فى يوم الشعانين، إذ استقبلوه كملك فى أورشليم. ولكنه رفض هذا الملك، لأنه لم يأتِ ليملك ملكاً عالمياً، بل ملكاً روحياً على القلوب . لذلك قال :

"مملكتى ليست من هذا العالم" (يو١٨: ٣٦) .

وهكذا عاش المسيح على الأرض بلا لقب ، بلا سلطة عالمية.. مجرد معلم ينشر الروحانية والحب وسط الناس. لا يستخدم السلطة، وإنما يستخدم الإقناع. وتدخل كلماته إلى القلوب فى عمق. يدعو الناس إلى الإيمان والتوبة وإلى الملكوت ، بخدمة الكلمة وليس بالأمر . بالعمل الداخلى وليس بالضغط الخارجى ...

إن الله لا يحب مطلقاً ، أن يتبع الإنسان طريق الخير عنوة ، بل اختياراً.

وكان هذا هو أسلوبه فى العهد القديم أيضاً :

انظروا ماذا قال الرب فى آخر سفر التثنية، نفس السفر الذى استخدمه سيدنا يسوع المسيح فى الرد على الشيطان فى التجربة على الجبل ...

يقول الرب للشعب فى سفر التثنية : "أنظر قد جعلت اليوم أمامك الحياة والخير، والموت والشر ... أشهد عليكم اليوم السماء والأرض . قد جعلت قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة. فاختر الحياة لكى تحيا أنت ونسلك، إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته .." (تث٣٠: ١٥- ٢٠).

إذن الإختيار موضوع أمام الإنسان وليس السلطة. وحسب اختياره تكون المكافأة أو العقوبة.

هذا من جهة الإنسان . أما عن الملك بالنسبة إلى السيد المسيح ، فله معنى آخر :

من جهة لاهوته، هو يملك كل شئ، كما قيل فى المزمور "للرب الأرض وملؤها، والمسكونة وكل الساكنين فيها" [مز٢٣(٢٤): ١] .

أما عن ناسوته ، فقد قيل عن ملكه فى المزمور :

" الرب ملك على خشبة " (مز٩٥) .

على الصليب صار ملكاً، حينما اشترى الكل بدمه، فصاروا له.

وفى ذلك قال الرسول "لأنكم قد اشتريتم بثمن" (١كو٦: ٢٠) .

وهذا ما فعله الرب فى الفداء :

دفع الثمن ، واستخلص الفريسة كلها من يد الشيطان الذى كان يدعى "رئيس العالم" (يو١٦: ١١) .

وفى سفر الرؤيا دعى الرب "ملك الملوك ورب الأرباب" (رو١٩: ١٦) . ولكن بالمعنى الروحى وليس بالمعنى الذى أراده الشيطان .

ومازالت تجربة الملك تطارد المسيح حتى بعد صعوده إلى السماء، وذلك فى ما يسميه البعض بالملك الألفى .

إذ يتصورون أن المسيح سيأتى ليحكم على الأرض ألف سنة!! بينما ملك المسيح لا يمكن أن يكون ملكاً أرضياً مثل القياصرة والأباطرة! إنه رفض أن يجلس على عرش فى الهيكل، فهدفه لم يكن العرش، إنما تطهير الهيكل ...

إنه يريد أن يملك على القلوب . وليس أن يملك بالتيجان والعروش .

مسكين هيرودس الملك الذى ظن أن المسيح سينافسه فى ملك أرضى، لذلك قتل كل أطفال بيت لحم، من أجل وهم فى قلبه لا وجود له فى عالم الحقيقة ...

إن السيد المسيح كان أعلى وأسمى من الملك الأرضى. وكل ممالك الأرض ومجدها التى اهتم الشيطان بإظهارها، لم تكن لها قيمة فى نظره . ولم يكن لها الإغراء الذى يراه محبو العالم وما فيه من تعظم المعيشة (١يو٤: ١٦) .

الذى أخلى ذاته من عظمة السماء ، هل من المعقول أن تغريه عظمة أرضية ؟!

هذا الذى جاء وديعاً ومتواضع القلب (مت١١: ٢٩) . وعاش خلال فترة تجسده على الأرض، "وليس له أين يسند رأسه" (لو٩: ٥٨) .

مسكين هذا الشيطان الذى يظن أن عبارة "ممالك الأرض ومجدها" يمكن أن تغرى هذا الذى يقول "دُفع إلىَ كل شئ من أبى" (مت١١: ٢٨) "دُفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض" (مت٢٨: ١٨) .

على أننا نجد فى كلمات الشيطان عبارة يحسن أن نقف عندها لنرى ما فيها من زيف ... وهى :

لك أعطى هذه كلها

الشيطان يدعى دائماً أن فى يـده شيئاً يمكن أن يعطيـه ، وأن يغرى به!

وهل حقاً كـانت فـى يده كل ممـالك الأرض ومجدهـا، وكـان بإمكانه أن يهبها لشخص ما، أياً كان؟!

والسيد لم يناقش معه فى النقطة ، كما لم يناقش سابقاتها .

من المعروف أن الشيطان يكذب . والكذب هى إحدى وسائله . وقد قال عنه الرب أنه كـذاب وأبـو الكـذاب (يـو٨: ٤٤) . وهـو قد كذب حينما أغرى أبوينا الأولين . وهو يكذب أيضاً فى أدعائـه أنـه سيعطى .

الشيطان لا يعطى أبداً وإنما يأخذ، أو يأخذ أكثر مما يعطى!

يعـد أن يعطـى ممـالك الأرض ومجدهــا ، لكـى يــأخذ التجــرد والقناعة .

يعطى الزنا لكى يأخذ العفة .

يعطى متعة الجسد . وفى الواقع أنه يسلب متعة الروح .

يعدك أن يعطيك العالم ، لكى يسلبك قلبك وأبديتك .

وأحياناً لا يعطى شيئاً على الإطلاق ، وإنمـا كل مـا يقدمـه هـو

الأمانى الكاذبة وأحلام اليقظة .

وحتى إن كان يعطى ، نحن لا نقبل أن نأخذ شيئاً من يد الشيطان .

الإنسان الروحى لا يأخذ إلا من يد الله .

ذلك لأن "كل عطية صالحة وكل موهبة تامة ، هى نازلة من فوق من عند أبى الأنوار" (يع١: ١٧) .

أما عطايا الشيطان فهى مرفوضة ، لأنها تضيع من يأخذها . كما حدث مع لوط . فقد أخذ الأرض المعشبة ، التى كانت تبدو فى عينيه كجنة الله . كأرض مصر (تك١٣: ١٠) . وكانت نهايتها الضياع !!

وأيضاً : الشيطان لا يعطى مجاناً .

إنه يشترط شروطاً معينة يسلب بها الملكوت ، لأنه قد حرم من هذا الملكوت ، لذلك يحسد كل المتمتعين به . وهدفه الأول هو سبى الروح وإخراجها من محبتها لله ...

وفى تجربته للمسيح جاوز اللامعقول .

فقال فى جرأة لا يصدقها أحد "إن خررت وسجدت لى" ! ولعله كان يعرف تماماً أن هذا العرض مستحيل . ولكن ربما إذ استشعر الهزيمة فى كل تجاربه، لم يشأ أن يخرج منها مهزوماً بدون إنتقام.

فليقل ولو كلمة إهانة ! والإهانة لا تصيب من يسمعها، بل هى فى حقيقتها إهانة لمن يلفظها .

ولذلك انتهره الرب قائلاً "اذهب يا شيطان" فذهب مدحوراً فى خزى ...

وهكذا كان الرب منتصراً على طول الخط فى كل تجارب الشيطان . وكانت كل تجربة لها الرد الحاسم من آيات الكتاب .

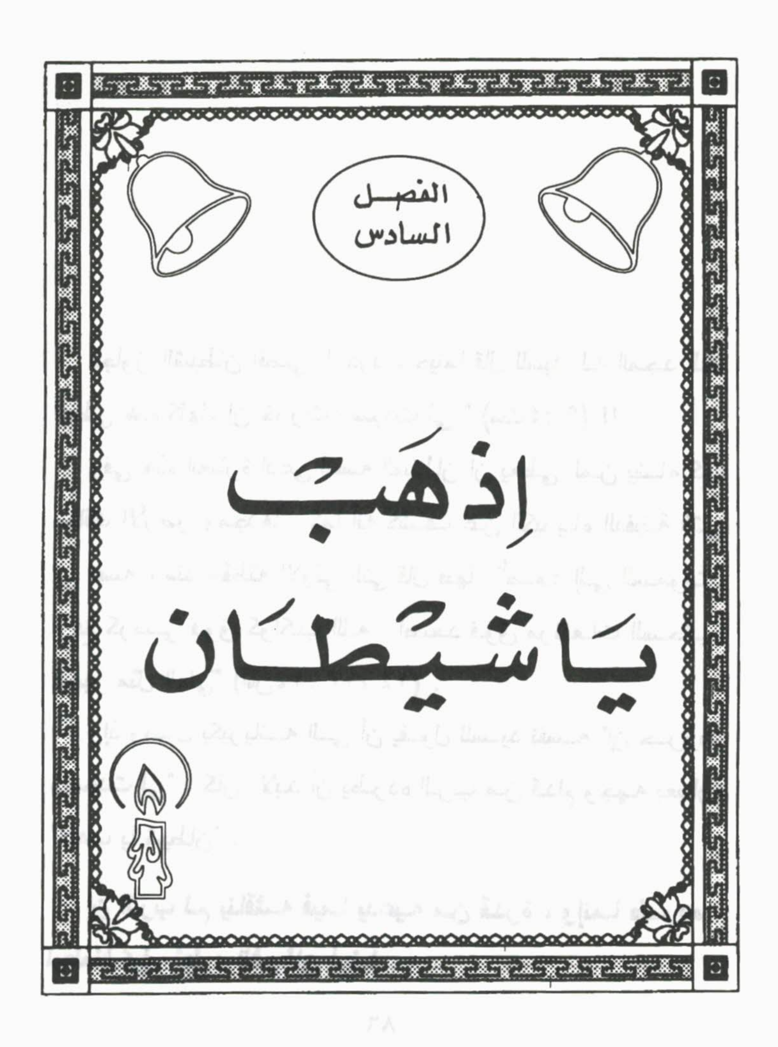
وأعطانا الرب قدوة صالحة فى حياة الإنتصار ، كما قدم للآب أمثولة من البشرية الطاهرة ، إذ الكل قد أخطأوا . وفى نفس الوقت أظهر للشيطان كم هو فاشل فى تجاربه .

ونحن نصلى قائلين للرب :

كما هزمت الشيطان فى كل تجاربه ، اهزمه أيضاً فى حروبه لنا .

لأننا بدونك لا نقدر أن نفعل شيئاً . وكما مجدت طبيعتنا البشرية بتجسدك، وأعطيتها روح النصرة فى كل تجاربك، كذلك قدنا معك فى موكب نصرتك (٢كو٢: ١٤) .

وكما انتهرت الشيطان فذهب ، كذلك قل له أيضاً فى تجاربنا : اذهب يا شيطان ...


الفصل
السادس
إِذهَب
يَاشيطَان

تجاوز الشيطان أقصى الحدود ، حينما قال للسيد له المجد "لك أعطى هذه كلها، إن خررت وسجدت لى " (مت٤: ٩) !!

وفى هذه العبارة إدعى لنفسه السلطان أن يعطى لمن يشاء كل ممالك الأرض ومجدها . كما أنه كشف عن الكبرياء الدفينة التى فى نفسه ، منذ سقطته الأولى التى قال فيها "أصعد إلى السموات. أرفع كرسى فوق كواكب الله . أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلى" (أش١٤: ١٣، ١٤) .

وإذ وصل بكبريائه إلى أن يقول للسيد نفسه "إن خررت وسجدت لى" . كان لابد أن يطرده الرب من قدام وجهه بعبارة "اذهب يا شيطان" .

إن الرب لم يناقشه فيما يدعيه من قدرة ، وإنما طرده . ليعلمنا كيف نطرد الشيطان أيضاً .

لم تكن هذه العبارة التى قالها الرب على الجبل هى الوحيدة، بل كررها أيضاً حينما تحدث عن صلبه فقال له بطرس "حاشاك يارب" فأجابه "اذهب عنى يا شيطان. أنت معثرة لى.." (مت١٦: ٢٢) . كانت فكرة الشيطان نطق بها بطرس ، فانتهر الرب صاحبها، الشيطان ...

✠ ✠ ✠

بل عبارة (اذهب يا شيطان) هى مبدأ روحى يقدمه لنا الرب فى كل الحروب الروحية .

✠ ✠ ✠

والرب فى استخدامه هذه العبارة ، لم يفعل ذلك فى تجاربه فقط، بل يفعل ذلك من أجلنا نحن أيضاً فى حروبنا وتجاربنا ...

إنه ينتهر الشيطان الذى يحاربنا فيذهب عنا ويتركنا فى هدوء.

لأنه لو أن الرب ترك الشيطان يحارب البشرية بكل حريته وبكل قوته، ما كان يخلص أحد، ولاستطاع الشيطان أن يحطم كل عمل روحى . مثلما يفك من سجنه ليضل الأمم كما قال الكتاب (رؤ٢٠: ٧) .

إن الشيطان مقيد ، بالعبارة التى قالها الرب **(اذهب يا شيطان).**

والرب يقول له اذهب ، حتى لا ينتصر الشر على الخير .

ويقول لـه اذهب ، حينمـا يراه قد تجـاوز حدوده ، وأرهـق الإنسان .

فاللـه يريـد أن تكـون حروبنـا فـى حـدود المعقـول ، وفـى طاقـة احتمالنا . وكما يقول الكتاب "ولكن اللـه أميـن ، لا يدعكـم تجربـون فوق ما تستطيعون. بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" (١كو١٠: ١٣) .

فـإن وجـد أن الشـيطان قـد ضغـط علــى الإنســان بقسـوة فـوق احتماله، ينتهره بسرعة ويقول له اذهب يا شيطان .

✠ ✠ ✠

وكثير من تجارب الشيطان ، يمنعها الرب قبل وصولها إليك .

إنـك تشـكر فقـط علـى التجـارب التـى تعرفهـا وقـد نجـاك الـرب منها.. ولكن هناك تجارب أخرى أنت لا تعرفهـا وقـد منعهـا الـرب من أن تصل إليك . كان الشيطان يحملها لزعزعتك . وفيما هو فـى الطريق قال له الـرب "اذهـب يـا شـيطان" .. اذهـب بعيـداً عـن هـذا الإنسان، ولا تضره ...

ومثال ذلك ما قيل فـى المزمـور "لا تدنـو ضربـة مـن مسكنك" (مز ٩٠) . ومثال أيضاً ما ورد فى قصة أيوب .

إذ قال الرب للشيطان فى التجربة الأولى عن أيوب "هوذا كل ما

له فى يدك . إنما إليه لا تمد يدك" (أى١: ١٢) . وفى التجربة الثانية قال له الرب "ها هو فى يدك . ولكن احفظ نفسه" (أى٢: ٦). ولم يستطع الشيطان أن يمد يده حيث منعه الرب ...

إذن ليتنا نشكر الله على هذا الإنقاذ الذى لا نعرفه .

✠ ✠ ✠

فإن وجدت نفسك يوماً فى راحة لا تجارب ، ولا افكار ، ولا شهوات ، ولا سقوط، ولا فتور ، اعرف أن الرب قد انتهر الشيطان المحارب لك قائلاً : اذهب يا شيطان .

وحاذر من أن تنسب راحتك الروحية إلى نقاوتك وتقواك، أو إلى قوتك ، فلو أن الحرب ثقلت عليك، ربما كنت تتعب جداً .

ولكن الله من فرط محبته وحفظه ، لا يشاء أن نكون على الدوام محاربين أو مهزومين، لئلا من شدة القتال يقع الإنسان فى اليأس أو فى الإستسلام، أو أن كثيرين يقولون له ليس له خلاص بإلهه (مز٣: ٢) .

✠ ✠ ✠

إن الله يسمح للشيطان أن يجربنا ، لكى نشعر بضعفنا . فنتضع ونصلى ونشفق على المجربين ، ولكن لا يسمح أن نيأس ونسقط .

وأحياناً يكون الإنسان فى حرب قاسية ، وعلى وشك السقوط . ثم يجد نفسه قد نجا من هذه الحرب . دون أن يشعر كيف! وكما قال القديس باسيليوس عن هذه الحالة إن هذا الإنسان قد أعين من النعمة .

فلنطمئن إذن فى حروبنا ، ولا نظن أن الشيطان له قوة غير محدودة! حاشا .

✠ ✠ ✠

فقد أعطانا الرب سلطاناً على جميع الشياطين (لو ٩: ١) . نستطيع أن نقول للشيطان اذهب، فيذهب ...

وواجبنا أن نستخدم هذا السلطان وننتهر الشيطان كلما حاربنا ، لا نخاف منه، ولا نستسلم له ، ولا نفتح له أبوابنا ، ولا نقبل التفاهم والتفاوض معه ، بل نقول له كما قال الرب "اذهب يا شيطان" .

✠ ✠ ✠

أول علاقة لنا بهذه العبارة هى جحد الشيطان فى المعمودية .

حيث تحمل الأم طفلها ، وتتجه نحو الغرب ، وتقول للشيطان: أجحدك أيها الشيطان وكل حيلك الشريرة ، وكل أفكارك الرديئة والمضلة، وكل جيشك وكل سلطانك ، وكل بقية نفاقك . أجحدك ، أجحدك ، أجحدك .

يا ليت كل أم تقول جحد الشيطان بكل قلبها ، وتحض ابنها على الدوام بجحد الشيطان . وكلما يحارب ابنها تقول له : اذهب يا شيطان .

وليت الأب يفعل كذلك ، وأيضاً جميع الأقارب والأصدقاء ، كلما يجدون تجربة شديدة تحيط بعزيز لديهم، فيصرخون قائلين : اذهب يا شيطان ...

هذه هي ما نسميها شفاعة الأحياء فى الأحياء .

على أن جحد الشيطان ينبغي أن يبقى ثابتاً فى الإنسان المعمد كل أيام حياته ...

✠ ✠ ✠

والمهم أن يقول الإنسان اذهب يا شيطان ، ليس بلسانه فقط، إنما من كل القلب، وبكل الإرادة ، وفى حزم ، وبجدية .

يستطيع أن يقول للشيطان اذهب ، ذلك القلب النقى الطاهر ، الذى يرفض الشيطان وكل مغرياته ، ولا يشتهى شيئاً يستطيع الشيطان أن يقدمه ، فعبارة اذهب يا شيطان ، إذا كانت تسندها نقاوة القلب، تصير لها قوة لا يحتملها عدو الخير .

وهذا الإنسان النقى ، تكون له هيبة أمام الشيطان ، لأنه ينتهر الشيطان بجدية وقوة .

ويعرف عدو الخير أنه لا مجال له إطلاقاً للتفاهم مع هذا الإنسان ، وأن كل أبواب قلبه وفكره وحواسه ومشاعره مغلقة أمامه. تماماً كما قيل فى سفر النشيد "اختى العروس جنة مغلقة ، عين مقفلة ، ينبوع مختوم" (نش٤: ١١) . إن قلب هذا الإنسان الطاهر هو الذى غنى له المرتل فى المزمور قائلاً "سبحى الرب يا أورشليم، سبحى إلهك يا صيهون.. لأنه قوى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك" (٧: ١٤) .

✠ ✠ ✠

على أن البعض لا يشاءون أن يقولوا للشيطان : اذهب .

إما لأن بينهم وبينه صداقة وتعاون، أو لأن فى قلبهم شهوات لا يحققها لهم إلا الشيطان ، أو لأن الشيطان قد قيدهم بعادات وطباع خلال عشرته الطويلة معهم ...

وإن قالوا له اذهب ، يقولونها فى ضعف يفهمه الشيطان تماماً ويدركه .

بل إن البعض إن ذهب عنهم الشيطان ، يطلبونه قائلين : اعبر إلينا وأعنا ...

هؤلاء قد دخلوا فى عبودية العدو ، وصاروا من جنده . هم مهزومون داخل قلوبهم . لذلك لا يمكنهم أن ينتصروا فى الخارج .

بينهم وبين الشيطان عمل مشترك يحبونه ويعينهم عليه . فكيف يقولون له : اذهب ؟!

يحتاج هؤلاء إلى صلوات ليتدخل الرب ويقول للشيطان اذهب.

سواء كانت هذه الصلوات منهم ، أو من محبيهم ، أو من الكنيسة على الأرض ، أو صلوات من الملائكة والقديسين . مثلما شفع ملاك الرب فى يهوشع الكاهن وقال : لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب ... أفليس هذا شعلة منتشلة من النار (زك٣: ٢) .

✠ ✠ ✠

والذى يقول للشيطان اذهب ، عليه أيضاً أن يتخلص من كل ما يخص الشيطان عنده .

فلا يستبقى عنده شيئاً يمكن أن يحاربه به الشيطان، ولا يستبقى علاقة يمكن أن تسقطه فيما بعد، ويبعد عن كل عشرة أياً كان نوعها ، وكما قيل للوط عند خروجه من سادوم : "اهرب لحياتك، لا تنظر إلى ورائك ولا تقف فى كل الدائرة" (تك١٩: ١٧) .

وهكذا يمكن أن يقول للشيطان اذهب ، ليس باللسان ، إنما بالتصرف الروحى السليم .

ليبعد عنه كل من يستخدمه الشيطان لمحاربته ، حتى إن أعثرته

عينه أو يده (مت٥: ٢٩، ٣٠) . ويقول له اذهب عن طريق العمل الروحى، والإنشغال بالصلاة والقراءة والإجتماعات والخدمة. فإن أتى الشيطان لمحاربته ، يجده مشغولاً عنه جداً، ولا وقت لديه يقضيه معه ، فيذهب ...

ويقول له اذهب بطرد كل أفكاره .

بسرعة ، بغير إبطاء ، وبحزم . وكما قال الرسول "مستأسرين كل فكر لطاعة المسيح " (٢كو١٠: ٥) .

كان المسيح قوياً حينما طرد الشيطان فذهب . فاطرده إذن بقوة المسيح العاملة فيك .

كتب تأملات فى حياة السيد المسيح
لقداسة البابا شنوده الثالث

١ - تأملات فى الميلاد .

٢ - من وحى الميلاد .

٣ - التجربة على الجبل (الكتاب الحالى) .

٤ - اسبوع الآلام .

٥ - تسبحة البصخة .

٦ - خميس العهد .

٧ - الجمعة الكبيرة .

٨ - كلمات المسيح على الصليب .

٩ - تأملات فى القيامة .

بالإضافة إلى كتابين لاهوتيين هما :

١٠ - طبيعة المسيح .

١١ - لاهوت المسيح .

فهرست الكتاب

صفحة



بسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد ، آمين

يسرنا أن نقدم لك كتاباً عن التجارب بصفة عامة، وتجربة السيد المسيح على الجبل بصفة خاصة .

يمكنك أن تقرأ فيه عن :

١- لماذا يسمح الله بالتجارب؟

٢ - ما هى الفوائد الروحية للتجارب ؟

٣ - ماذا كان يقصد الشيطان بالتجارب الثلاث التى ذكرها الإنجيل؟

٤ - ما هدف تلك التجارب فى تحويل مسار رسالة السيد المسيح؟

٥ - ما هى المبادئ التى وضعها الرب لنفسه فى خدمته؟

٦ - كيف ردّ على التجارب؟

٧ - هزيمته للشيطان، والفرق بين تجاربه وتجربة أبينا آدم؟

شنوده الثالث

